د . خلف دبلان خضر الوذيناني (*)

سياسة السلطان با يزيد الأول الجديدة في الفتح العثماني

نهاية طموحاته وتفكك دولته في موقعة أنقرة ٨٠٤هـ / ١٤٠٢م

قبل تولى السلطان بايزيد الأول الحكم

في سنة ٧٦١هـ الموافق ١٣٦٠م توفي السلطان أورخان بن أرطغرل بن عثمان، وخلفه ابنه السلطان مراد الأول، ليواجه في بداية حكمه أعداء دولته في اتجاهين خطرين.

أولاً : كان في المشرق إمارة القرمان السلجوقية التي بدأت تنظر بعين الخوف الشديد في نمو الإمارة العثمانية، واستطاع السلطان مراد الأول أن يوجه لها ضربات أقعدتها عن التحرك ضده طوال حكمه كما سيأتي الحديث عنها مفصلاً في البحث.

ثانياً : في أوروبا كان الإمبراطور البيزنطي يسعى إلى الانقضاض عليه، ولكن السلطان مراد الأول استولى على أدرنة ١٣٦٦م، واتخذها عاصمة لبلاده، الأمر الذي كان له صدى في مختلف العواصم الأوروبية، وخاصة لدى البابا في روما، وقد دعا إلى حملة صليبية دون جدوى، بينما تابع العثمانيون توسعهم واستولوا على سالونيك[١].

فكان نمو الدولة العثمانية نحو أوروبا سبباً في قيام التحالف من القوى الصليبية البلقانية لصد الغزو العثماني، ولكن السلطان مراد الأول خاض ضد أعدائه الصليبيين معركة قوصوه

---

* أ / مشارك- بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - بجامعة أم القرى- مكة المكرمة

الكبرى في ١٥ يونيو ١٣٨٩م، سقط فيها السلطان مراد الأول شهيداً بعد أن أسر فيها ملك الصرب، والذي أعدمه السلطان با يزيد الأول في ساحة المعركة[٢].

السلطان بايزيد الأول يعتلى عرش الدولة العثمانية :

فتولى السلطان با يزيد الأول عرش الدولة العثمانية بعد موقعة قوصوه المشهورة، وتمت بيعته في ميدان المعركة بعد استشهاد والده السلطان مراد الأول (٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م)، وكان السلطان با يزيد الأول أكثر من أبيه كرهاً للمسيحية، وأقل تعصباً للإسلام، ولكنه خطا خطو والده في الفتح والجهاد في أول الأمر[٣].

حين واصل حربه وتقدم بجيوشه داخل بلاد الصرب[٤]،حتى انتصر على ملكها استيفن بن لازار وأخذه أسيراً[٥] ولكن استيفن بن لازار ملك الصرب عرض على السلطان الصلح فوافق على ذلك[٦].

فاستهل السلطان با يزيد الأول أعماله بأن عين استيفن ابن ملك الصرب [لازار] حاكماً على بلاد الصرب، وتزوج من أخته[٧] مليحة[٨]، وترك له حكم بلاده على حسب قوانينهم وأنظمتهم وأعرافهم دون التدخل في شئونهم الداخلية على شرط دفع جزية سنوية للدولة العثمانية على أن يدين له بالولاء، مع تقديم عدد معين من الجنود الصربية للانضمام إلى الجيوش العثمانية وقت الحرب خدمة حربية للدولة على أن يقوم ملك الصرب نفسه بقيادتهم عند الحاجة تحت قيادة السلطان العثماني[٩]، كما تعهد ملك الصرب أيضاً للسلطان با يزيد الأول ببناء المساجد والمدارس والمحاكم للمسلمين في بلاد الصرب[١٠]، وبذلك فقدت الصرب استقلالها منذ ذلك الوقت حتى القرن التاسع عشر الميلادي حين نالت استقلالها في تلك الفترة[١١]. فأصبح بعد هذا الفتح والتوغل العثماني في البلقان، وجهاً لوجه مع أكبر الشعوب البلقانية عداء للعثمانيين (البلغار والمجر)[١٢].

عندئذ أقام السلطان با يزيد الأول علاقات ودية مع ملك الصرب استيفن بن لازار، وكان هدف السلطان من إقامة هذه العلاقات أن يتخذ من دولة الصرب حليفاً له في حروبه في آسيا الصغرى، كما أراد من هذه الدولة أن تكون دولة حاجزة بين أملاكه في البلقان وبين دولة المجر، التي كان يخشى من انتهازها عند غيابه للحرب في آسيا الصغرى فتغير على أملاكه العثمانية بها[١٣].

وكان من مظاهر هذه الصداقة بين استيفن والسلطان با يزيد الأول أن رد السلطان إلى استيفن كل الميزات والحقوق التي كان يتمتع بها أبيه لازار كملك على بلاد الصرب، كما وعده بمنح

الصرب نصف الغنيمة التي تخرج بها كل من الدولتين في حروبها المنتظرة في آسيا الصغرى، وقد اتبع السلطان با يزيد الأول هذه السياسة، وهو عدم ضم بلاد الصرب إلى أملاكه، بل منحهم الاستقلال الذاتي، ليسكن بال الصربيين حتى لا يكونوا شغلاً شاغلاً له نظراً لشهامتهم وحبهم للاستقلال[١٤]، وخاصة أن ملك الصرب استيفن قد وافق على دفع الجزية للسلطان سنوياً، لذلك تمت معاملتهم معاملة أهل الذمة[١٥].

وقد استفاد با يزيد الأول من هذا التحالف مع استيفن ملك الصرب حين برهن هذا الصليبي وقومه الصربيون على إخلاصهم لبايزيد في حروبه مع المجر[١٦]، على الرغم من أن السلطان اشتهر بحدة الطبع والقسوة، حيث اتسمت تصرفاته بالاندفاع والتسرع[١٧].

وعلى أية حال فإنه بعد هذا التحالف مع الصرب اطمأن با يزيد الأول على حدوده الغربية، فاتجه لغزو آسيا الصغرى لتوحيد الإمارات السلجوقية المسلمة في الأناضول لضمها لأملاكه العثمانية[١٨]، وكان في نيته أيضاً القضاء على بيزنطة، وخصوصاً حين ساد الأمن في أوروبا، فأخذ يتدخل في سياسة القسطنطينية مستغلاً أوضاعها المضطربة الداخلية، لأن المدينة تمر بفترة ضعف، فانتهز السلطان هذه الفرصة وسار بنفسه إلى قلعة « الآشهر » المعروفة باسم «فيلادلفيا»[١٩]، عند الأوربيين، ففتحها ٧٩٥هـ/ ١٣٩١م، وكانت آخر مدينة مهمة بقيت للقسطنطينية في آسيا الصغرى بالأناضول[٢٠].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السلطان بايزيد الأول يتطلع لضم الإمارات السلجوقية :

لذلك بدأ السلطان با يزيد الأول يتطلع لضم الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى، وكانت سياسة السلطان با يزيد شرقية، بمعنى أنه فضل الاتجاه بفتوحاته نحو آسيا الصغرى من أجل تحقيق وحدة الأناضول لتكون تحت راية الدولة العثمانية بعد أن أمن حدود بلاده الغربية[٢١]، وكان يتميز هذا السلطان بالطموح في سياسته، فقد بذل جهداً في توحيد منطقة الأناضول ليقود العالم الإسلامي تحت إمرته[٢٢]، وليس معنى ذلك أنه لم يحدث احتكاك بين الدولة العثمانية والإمارات السلجوقية التركية الإسلامية الواقعة في آسيا الصغرى.

وقد ظهر هذا الاحتكاك قبل حكم السلطان با يزيد الأول في الستينات من القرن الرابع عشر الميلادي بين السلطان مراد الأول والد السلطان با يزيد الأول وبين أمير القرمان كما سبق ذكره، عندما أدرك الأخير أنه لا يستطيع المجازفة بالحرب مع الدولة العثمانية القوية، ولكي يحتفظ باستقلاله وكبريائه، فقد وافق على أن يزوج ابنته لبا يزيد بن مراد الأول.

وبذلك حصل السلطان مراد الأول نتيجة زواج ابنه على أجزاء من إمارة القرمان دون قتال، وكان من هذه الأجزاء، مدينة كوتاهية، ذات الموقع الاستراتيجي الفريد، وكان احتلال العثمانيين لهذه المدينة ضربة قوية لإمارتي تكه وحميد.

وعندما أدرك أمير إمارة حميد ضعفه أمام مقاومة الدولة العثمانية، قام ببيع بعض أجزاء من دولته المطلة على ولاية تكه وكرميان، والقرمان إلى السلطان مراد الأول، وكان أهمها مدينة عك شهر التي تقع على حدود إمارة القرمان، وتم ضم هذه الأجزاء المهمة إلى أملاك الدولة العثمانية.

ويجب أن نلاحظ ملاحظة مهمة أن السلطان مراد الأول لم يقض على كل الإمارات السابقة، بل كان هناك ثلاث إمارات أخرى في آسيا الصغرى وهي (آيدين، وصاروخان، ومنتشا) ظلت هذه الإمارات المسلمة على استقلالها لم يمسها السلطان العثماني آنذاك، وكانت دولة القرمان من أقوى الدول السلجوقية التركية في الأناضول التي عجز السلطان مراد الأول عن إخضاعها، وكانت تربطه بأميرها علاء الدين أواصر المصاهرة[٢٣].

هذا هو الموقف في آسيا الصغرى حين تولى السلطان با يزيد الأول إمارة الدولة العثمانية، حين عزم على توجيه فتوحاته نحو الأناضول بآسيا الصغرى، ذلك التوجه الذي أدى في النهاية إلى سقوطه في معركة أنقره ٨٠٤هـ/ ١٤٠٢م[٢٤].

وكان زعماء الإمارات السلجوقية التركية الإسلامية في الأناضول آيدين[٢٥]، وصاروخان[٢٦]، ومنتشا[٢٧]، الذين احتفظوا باستقلالهم منذ قيام الدولة العثمانية، هي أولى الإمارات التي غزاها السلطان با يزيد الأول، وقد قبلوا في بداية الأمر بحكمه، نتيجة لخوفهم منه، لإنجازاته وفتوحاته العظيمة في أوروبا[٢٨].

وكانت هذه الإمارات تطل على بحر إيجه، وكانت في نزاع دائم مع العناصر التجارية اللاتينية ولا سيما منها جنوة، وتتميز هذه الإمارات التركية بطابع تجاري أكثر منه حربي مثل إمارة القرمان وكيرميان، وكان نزاعها الدائم مع العناصر اللاتينية قد أضعفها، مما سهل للسلطان با يزيد الأول استسلامها وبالتالي احتلالها[٢٩]، ولنفس السبب ترك أمير آيدين للسلطان أملاكه، وخرج منها ليعيش مطمئن البال في إحدى المدن الخارجة عن النفوذ العثماني.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتلا ذلك قيام كل من أميري منتشا وصاروخان بترك ولايتهما للسلطان با يزيد الأول واحتمائهما لدى أمير قسطموني[٣٠]، وخوفاً من السلطان قام حاكم إمارة القرمان الأمير علاء الدين وتنازل للسلطان عن جزء كبير من أملاكه ليؤمن له ما تبقى من أملاك[٣١]، وباستيلاء السلطان با يزيد الأول على تلك الإمارات فقد حاز على أهم الموانئ وأعظمها والواقعة على بحر إيجه، (آيدين ومنتشا) وبذلك أصبحت الدولة العثمانية تطل على بحر إيجه، كما حازت أيضاً على أسطول إمارة صاروخان، وقد نفذ به العثمانيون من سواحل منتشا إلى البحر الأبيض المتوسط[٣٢]، وهذا الموقع خلق نقطة جديدة للاحتكاك بين الدولة العثمانية من ناحية، وبين البندقية وجنوة من ناحية أخرى.

استدعى هذا الموقف ظهور العثمانيين على بحر إيجه بتكوين بحرية عثمانية، ولو أن البحرية العثمانية لم تنم وتكبر خلال عهد السلطان با يزيد الأول، إلا أن عهد السلطان با يزيد الأول، كان بداية تفكير الدولة العثمانية بالحاجة الملحة إلى بناء أسطول بحري يعتدّ به لمواجهة المعارك البحرية[٣٣]، ولكن هذه الإمارات ما لبث أهلها أن استاءوا من اتجاه السلطان بايزيد الأول لعطفه على العناصر المسيحية، بل والاعتماد عليهم كمستشارين له دون المسلمين[٣٤].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى أية حال فبعد هذه الفتوحات التي كان أغلبها بدون حرب، عاد السلطان با يزيد الأول إلى أوروبا، وحاصر ملك الروم في القسطنطينية مانويل باليولوج، وبعد أن ضيق عليها الحصار، ترك حولها جيشاً كبيراً لمحاولة فتحها، وغادرها لغزو بلاد الأفلاق، فاستطاع قهر أميرها (دوك مانيس) والتغلب عليه، وأرغمه على التوقيع على معاهدة يعترف فيها بسيادة الدولة العثمانية على بلاده، ويتعهد للسلطان فيها بدفع الجزية سنوياً مع بقاء بلاده له يحكمها بمقتضى عوائد وقوانين أهلها، وتم ذلك في سنة ١٣٩٣م[٣٥].

وفي أثناء حرب السلطان بايزيد الأول مع الأفلاق في أوروبا أراد علاء الدين أمير القرمان استرداد ما تنازل عنه للسلطان، مستغلاً انشغاله في الحرب، وقد اتحدت معه الإمارات السلجوقية الواقعة في جنوب غربي الأناضول، كما اتحد معه القاضي برهان الدين الذي كان يسيطر على مساحات واسعة وسط الأناضول، ويتمتع بنفوذ كبير في أواسط رعاة التركمان في الشرق في حلف ضد السلطان با يزيد الأول لاسترجاع ما أمكنهم استرجاعه من مساحات كبيرة من المدن والأراضي التي ضمها با يزيد الأول إلى أملاك الدولة العثمانية بالقوة.

وقاد علاء الدين جيشاً قوياً وسار به لمهاجمة أنقره، فاستطاع الانتصار على حاكمها تيمور طاش باشا، وأخذه أسيراً معه، وزحف على بقية المدن الواقعة في الأناضول[٣٦].

ولمّا بلغ السلطان با يزيد الأول الهجوم الذي شنه أمير القرمان على أملاكه في الأناضول، عاد مسرعاً بنفسه لإنقاذ الموقف إلى آسيا الصغرى، فتقابل الجيشان حول أنقره، فكانت الهزيمة على علاء الدين أمام السلطان ثم أسره[٣٧]، واكتسح السلطان إمارات آسيا الصغرى، وأعاد ضم صاروخان وآيدين ومنتشا التي اتحدت مع إمارة القرمان من جديد للطاعة العثمانية، وعاد العثمانيون إلى بحر إيجه وأرسوا قواعد قوتهم البحرية، وفي الجنوب استولوا على (أضاليا) آخر مدن أمير تكه، وكانت هذه المدينة أول ميناء عثماني على البحر الأبيض المتوسط[٣٨].

ولكن السلطان بايزيد الأول كان قلقاً بسبب الأحداث والتطورات في أوروبا التي كانت تحاك ضد الدولة، فلابد له من العودة بسرعة إلى عاصمة بلاده أدرنه وذلك للاستعداد لهذه المؤامرة والقضاء عليها، كما كان هناك بعض الإشكاليات في خطوط مواصلاته الطويلة التي كانت لا تبشر بالخير ولا بالانتصار والهيمنة على الإمارات السلجوقية، لذلك نراه يوافق بمبادرة منه على عقد الصلح مع علاء الدين أمير القرمان مضطراً على أن ينسحب السلطان من قونية على أن يحتفظ بمدينتي (عك شهر، وعك سيرا) الواقعة في الشمال الغربي من إمارة القرمان[٣٩].

وعلى هذا الأساس عاد با يزيد الأول إلى بلغاريا وذلك عندما وقع أول نزاع بينه وبين ملك المجر (سجموند)، ولكن علاء الدين لم يعتبر من المعركة السابقة، بل انتهز انشغال با يزيد في حربه مع بلغاريا، ووطد العزم على طرد العثمانيين من إمارته، للسيطرة على أملاكهم في الأناضول، وقد اتحدت معه الإمارات السلجوقية مرة أخرى، وتمكن بالفعل من استرداد (عك شهر)، واتجه نحو مدينة أنقرة واستطاع الفوز على تيمور طاش باشا في أحد المعارك، وأخذه معه أسيراً مرة ثانية، ثم توجه لأخذ بروسة[٤٠].

لذلك عاد السلطان بايزيد الأول من جديد حينما علم بمحاولة علاء الدين انتزاع السيطرة من العثمانيين للأناضول، ولكن بعد أن حقق انتصاراً باهراً على البلغار، وبالقرب من كوتاهية واجه جيش القرمان جيش السلطان وجيوش أتباعه من المسيحيين (البيزنطيين والصربيين والبلغار والولاش) على آمر سراي، فاستطاع السلطان أن يقضي على الجيش القرماني، فانهزم علاء الدين أمام السلطان با يزيد الأول مرة ثانية، وتم أسره مع ابنيه (محمد وعلي)[٤١].

وقد رافق الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني السلطان با يزيد الأول في حملته إلى الأناضول الثانية، وكان با يزيد الأول ينظر إلى الإمبراطور مانويل على أنه تابع له أو من أتباعه، بينما كان الإمبراطور يرى نفسه حليفاً وعلى قدم المساواة مع السلطان با يزيد الأول.

وقد ظل الإمبراطور ضيفاً في سراي بروسه (بورصة) مدة طويلة، وكان يتحدث التركية بطلاقة، وقد التزم باتجاهات السياسة العثمانية الخارجية إزاء بيزنطة[٤٢].

وهذا دليل لما سبق لتشجيع أنصاره الصليبيين على دفع اتجاه السلطان با يزيد الأول إلى المشرق، لذلك نراهم يشاركونه في حروبه ضد الولايات السلجوقية المسلمة في الأناضول، وعلى رأس إمبراطور بيزنطة، وكانت هذه السياسة من السلطان سياسة خاطئة، كادت أن تخسر الدولة العثمانية بسببه، تقدمها في أوروبا وينتهي مدها في أوروبا إلى الأبد.

وعلى أية حال فقد حاول علاء الدين من أسره أن يعرض على السلطان الصلح على أساس الاتفاقية السابقة، ولم يفلح لأن السلطان با يزيد الأول أدرك أن اتفاقه مع علاء الدين لا طائل من ورائه لعدم التزامه بالمعاهدة السابقة، والآن يعد مصدر تهديد للدولة. لذلك وجد السلطان أن الفرصة أصبحت مواتية بين يديه للقضاء عليه وعلى إمارة القرمان نهائياً للتخلص من هذا الخطر، فعلاء الدين قد وفر على السلطان با يزيد الأول مشقة السفر إلى القرمان لإخضاعها عندما حضر بنفسه إلى بروسة (بورصة) لانتزاعها من السلطان، ولكنه خسر المعركة، لذلك رفض السلطان الصلح مع علاء الدين أمير القرمان، وقام بقتله ١٣٩١م، لاستقرار المنطقة، وبذلك انتهت سلطة علاء الدين والقرمان[٤٣]، وعاد السلطان إلى عاصمة بلاده بروسة بعد أن قتل علاء الدين بن قرمان وحبس ولديه بمدينة بروسة إلى أن أطلق سراحهما تيمور لنك بعد موقعة أنقرة سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠٢م[٤٤].

والحقيقة أنه لم يتم إخضاع القرمان نهائياً فقد ظلت هذه الإمارة حتى سقوط القسطنطينية تقض مضاجع سلاطين الدولة العثمانية بين الفينة والفينة[٤٥]. وواصل السلطان با يزيد الأول فتوحاته في الأناضول بآسيا الصغرى، واكتسح سيواس وتوقات[٤٦]، وكان آخر أمرائها برهان الدين أمير سيواس[٤٧].

في حين أن الإمارة العثمانية في الوقت الذي استشهد فيه السلطان مراد الأول في قوصوه قد أخذت على عاتقها دوراً مهماً وهو الاستمرار في أراضي الأناضول والروملي، وتحولت إلى دولة

كاملة الأركان. ولكن السلطان با يزيد الأول حين اعتلى عرش الدولة (١٣٣٩م)، بدأت الدولة العثمانية بقيادته تطبيق سياسة جديدة خاطئة، كانت من أسباب زوال حكمه ونهاية لطموحاته على يد تيمورلنك في كارثة أنقرة كما سيأتي الحديث عنه في بابه[٤٨]، حين فرض سيطرته المباشرة على هذه المناطق التي طرد منها أسرتها الحاكمة وإخضاعها لسلطته المركزية المباشرة، ولقيت هذه السياسة مقاومة ليس فقط في البلدان المفتوحة بل داخل الدولة العثمانية نفسها، وكانت هذه موجهة ضد التسرع في ضم المدن والإمارات، واعتبرت ذلك خروجاً عن التقاليد العثمانية[٤٩].

فقد كانت سياسة مراد الأول هي ترك الأراضي على شكل إقطاعات عسكرية للأمراء، فبدأت من بعده سياسة تحويل هذه الأراضي إلى الملكية العثمانية بالفعل، إذ حدث فور سماع خبر وفاة السلطان مراد الأول أن ظهرت انتفاضات في الأناضول والبلقان تمرد فيها أمراء الإقطاع في الأناضول، فقام بايزيد الأول مسرعاً نحوهم (١٣٨٩/ ١٣٩٠م) لإخماد هذا التمرد، وأخذ منهم أراضيهم لتصبح أرضاً عثمانية خالصة.

وأصبحت الإمارات القديمة سناجق عثمانية يتولى إدارتها عمال يجري تعيينهم من العاصمة، وكان نتيجة لهذه الجهود التي بذلها أن انخفض عدد الإمارات المناهضة له في الأناضول إلى مركزين أساسيين، - الأناضول وسيواس - وهذه الأعمال كانت بمثابة التطبيقات الأولى لسياسة استهدف بها السلطان با يزيد الأول، الذي عرف بلقب « الصاعقة » إقامة دولة مركزية قوية تدار من مركز واحد، هو السلطان، وكان هو يفعل ذلك يضع نصب عينيه صفة القائد المجاهد، وقد استطاع أن يصيغ ادعاءات السيادة داخل هذا الإطار[٥٠].

وقد اشتد العثمانيون في انتقاد سلطانهم با يزيد الأول حول إدخاله استعمال الدفتر في النظام الإداري العثماني، يضاف إلى ذلك أنه حاول في الأراضي التي ضمها حديثاً أن يحل عبيده (غلمانه) محل الاستقراطية المحلية فاعتبرت هذه السياسة خروجاً على القاعدة والتقاليد العثمانية، وكانت هذه السياسة من أهم العوامل والأسباب التي أدت إلى نكبة السلطان بايزيد الأول وزال حكمه في موقعة أنقره، وعودة الأسر الحاكمة في القرمان على أثرها وغيرها من الإمارات السلجوقية الأخرى في الأناضول[٥١] إلى الاستقلال بإماراتهم.

وهذا مما يعزز القول بأن آل عثمان لم يحكموا قبضتهم على إمارة القرمان إلا بعد فتح القسطنطينية[٥٢].

السلطان بايزيد الأول يتابع حروبه فى أوروبا :

ثم عاد السلطان با يزيد الأول، متابعة حروبه في أوروبا فأمر بزحف عام على طول حدوده الشمالية والشمالية الغربية، ووصلت قواته الغازية إلى ألمانيا لتثبيت حكمه هناك، وفي عام ١٣٩٣م استكمل احتلال بلغاريا وزود آدين وسلستريا ونيكوبولي وغيرها من قلاع الدانوب بحاميات قوية بعد أن قام بتقوية تحصيناتها تحصيناً قوياً، مما عزز من مكانة السكان المسلمين في تلك المدن، الذين ازدادت أعدادهم على طول الحدود الشمالية للدولة العثمانية، على أثر اعتناق عدد كبير من البلقانيين المسيحيين للإسلام، وهجرة عدد من مسلمي الأناضول إلى البلقان.

وما لبث أن حاصر السلطان با يزيد الأول العاصمة البيزنطية، وشدد عليها الحصار، وطلب من الإمبراطور بعد قهره من منطق القوة أن يعين قاضياً في القسطنطينية للفصل في شئون المسلمين، وقبل الإمبراطور إيجاد محكمة إسلامية وبناء مسجد وتخصيص سبعمائة (٧٠٠) منزل داخل المدينة للجالية الإسلامية، كما تنازل للسلطان بايزيد الأول عن نصف حي غلطه، التي وضع فيها السلطان حامية عثمانية قوامها ستة آلاف (٦٠٠٠) جندي، وزيدت الجزية التي كانت الدولة البيزنطية تدفعها للسلطان العثماني.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفرضت الخزانة العثمانية رسوماً على الكروم ومزارع الخضروات الواقعة خارج المدينة، وأخذت المآذن من تلك اللحظة تنقل الآذان إلى العاصمة البيزنطية، والتي أطلق عليها العثمانيون بعد الفتح « اسطنبول »[٥٣]، وقد فرض عليها السلطان الرقابة من خلال الحامية العثمانية وإحكام السيطرة عليها[٥٤].

وبعد هذه المكاسب الجديدة للسلطان با يزيد الأول فقد أشار عليه مستشاروه المسيحيون بترك أوروبا وشأنها والتوجه إلى الأناضول بآسيا الصغرى، لاستكمال القضاء على الإمارات السلجوقية المسلمة وتوحيدها تحت السلطة العثمانية، وكان هدف المسيحيين من ذلك هو صرف السلطان عن الفتوحات الإسلامية نحو أوروبا، كما كان يفعل أسلافه لحرمانه أولاً من الأجر ومن ثم الثروات الجديدة[٥٥]، وثانياً إبعاد شبح الحرب عن دولهم لتوجيه السلطان وتحريضه للاصطدام بالإمارات السلجوقية المسلمة، وذلك لإضعاف قوته وبالتالي إعطاء فرصة للعالم المسيحي لاستعادة أنفاسه لبناء قواته وتسوية خلافاته لتوحيد جهوده، ضد الدولة العثمانية التي توغلت في داخل البلقان، للانقضاض عليها في أقرب فرصة لطردهم من أوربا كلها.

وقد نجح المسيحيون في تحويل أنظار السلطان إلى الشرق، حينما استصوب قولهم، لذلك لف بعنان فرسه ورايته من الغرب إلى الشرق، مخالفاً لمن سبقه من أسلافه، وعلى أية حال فإنه لم يبق من الإمارات السلجوقية التي ضمها السلطان إلى الدولة العثمانية، والتي قامت على أطلال دولة آل سلجوق في الأناضول سوى إمارة قسطموني[٥٦].

وكانت هذه الإمارة خارجة عن أملاك الدولة العثمانية، وتقف حائلاً بين الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والبحر الأسود، وبالاستيلاء على هذه المدينة يعني حصول الدولة على ميناء مهم جداً وهو ميناء سينوب على البحر الأسود[٥٧]، وكان أميرها يسمى با يزيد أيضاً، قد احتمى بإمارته الكثير من الأمراء وأبنائهم الذين استولى السلطان على بلادهم بالقوة ولإيجاد مبرر لغارته عليها فقد أرسل السلطان با يزيد الأول، تنفيذاً لنصيحة مستشاريه المسيحيين إلى أمير قسطموني يطلب منه تسليم أولاد أميري (آيدين وصاروخان)، فامتنع عن تسليمهم فسار السلطان على رأس جيشه، إلى إمارة قسطموني لأخذها بالقوة وهرب با يزيد أمير قسطموني ومعه أمراء الإمارات السلجوقية الذين سبق أن احتموا به إلى تيمورلنك يشكون إليه السلطان با يزيد الأول ويستنجدون به لاسترداد بلادهم، فاستجاب تيمور لرد بلادهم[٥٨]، وهذا هو سبب غزو بلاده من تيمورلنك[٥٩]، أما السلطان فقد ضم وهو في طريقه للاستيلاء على قسطموني، مدن سامسون[٦٠]، وقيصرية[٦١] وجنابك وعشمانجق[٦٢]، وبذلك انقرضت جميع الإمارات السلجوقية القائمة بالأناضول، وصار العلم العثماني كما أراد السلطان العثماني يرفرف أو يخفق فوق صروحها[٦٣]، وبهذا أصبح السلطان با يزيد الأول سيد الأناضول، ولكنه كان سيداً بالاسم، إذ لم يكن العثمانيون قد هضموا بعد هذه المناطق الأسيوية المفتوحة، كما تدل حوادث النزاع بين تيمورلنك والسلطان با يزيد فقد كان سكان هذه المناطق لا يزالون موالين لأسراتها الحاكمة، وقد اتضح ذلك في معركة أنقرة كما سيأتي[٦٤].

وهكذا بعد أن قضى السلطان با يزيد الأول على الفتن في الأناضول سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م وبالتحديد بعد ضم الإمارات السلجوقية في الأناضول وتوحيدها، وظن المسيحيون أنهم قد نجحوا في صرف السلطان عن أوروبا ليستريحوا من الزحف الإسلامي نحو بلادهم للأبد، إلا أن السلطان استشعر بمسئولية الجهاد نحو أوروبا مرة أخرى لذلك حشد قواته وواصل سياسته لغزو أوروبا لاستكمال فتح القسطنطينية، فاستولى على مدينة سالونيك[٦٥]، وتمركز فيها، ومنها اتجه إلى شمال بلاد البلغار، وعندما علم سسيمان ملك بلغاريا داخله الخوف لفقد بلاده من السلطان، وجاء بنفسه إلى الصدر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأعظم، (علي بن خير الدين قرة خليل باشا وزير السلطان با يزيد الأول، ومعه ولده، ووضع كل منهما - الأب والابن - في عنقه منديل الأمان، فأمنهما على حياتهما، وأرسل الأب إلى مدينة فيليبولي في مقدونية، وأبقى ابنه في معسكر السلطان، ولم يلبث الابن كثيراً حتى اعتنق الإسلام دون إكراه، عندما رأى سماحة الإسلام[٦٦]، وقد قام السلطان باستكمال فتح بلاد البلغار وضمها إلى أملاك الدولة، فأصبحت تلك المناطق ولاية عثمانية[٦٧].

وحين علم سيجموند ملك المجر افتتاح السلطان بعض مدن البلغار التي كان يعتبرها تحت نفوذه وسيطرته، غضب وأرسل إلى السلطان يقول له : من أين لك الحق أن تستولي على بلاد البلغار، فلما حضر الرسول بين يدي السلطان أراه حزمة من الأقواس والنشاب، وقال له : «اذهب وأخبر مولاك بما نظرت »، وكان هذا الجواب دليلاً على الحرب، ولما عاد الرسول وأبلغ مولاه «ملك المجر» بما عاينه ورآه، فكر بأنه لا يقدر على حرب ومقاومة الدولة العثمانية وجنودها[٦٨]، وكان من الطبيعي أن تثير انتصارات الدولة العثمانية جزع الغرب[٦٩]، فعمّ الخوف معظم الأوربيين من سرعة تقدم فتوح العثمانيين في أوربا، فقامت ضجة وفزع للحض على جيوشهم[٧٠] للتصدي للعثمانيين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سيجموند يدعو لشن حرب صليبية على المسلمين العثمانيين:

لذلك انطلق سيجموند إلى مدينة روما يطلب من البابا بوتيفاس الثاني النجدة والمساعدة والعون[٧١]، كما دعا حكام أوروبا المسيحيين إلى شن حرب صليبية ضد المسلمين العثمانيين، وكان ذلك ١٣٩٤م، لصدهم عن بلاده، ويعتبر سيجموند المحرك الأول لتلك الحرب الصليبية، لأنه أصبح متاخماً للدولة العثمانية في عدة نقاط، فخاف خوفاً شديداً وخشي فقد مملكته، كما فقدها البلغاريون من قبل سنة ١٣٩٣م[٧٢]، لأن بلغاريا كانت بين السلطان العثماني وسيجموند ملك المجر، وكان الأخير يدرك أنه لا يستطيع وحده إنقاذ البلقان. وفي نفس الوقت كان ملوك أوروبا يدركون أن الطريق أمام العثمانيين إلى قلب أوروبا سيصبح مفتوحاً لو نزلت هزيمة كبيرة بالمجر[٧٣]، وكان من نتائج الاستيلاء على بلغاريا يعد تهديد لبيزنطة بصورة دائمة وخطيرة، فأصبحت الدولة العثمانية تتطلع إلى الأراضي المجرية لتحطيم النفوذ المجري هناك، وكان هذا الأمر وراء توحيد دول أوروبا ضد الدولة العثمانية، لتشكيل حملة صليبية[٧٤].

ومن هذا المنطلق انتعشت الروح الصليبية ولقيت دعوة سيجموند استجابة وتأييدًا من البابا - بونيفاس الثاني - الذي دعا أوروبا إلى شن حرب صليبية ضد الدولة العثمانية، لذلك عادت

الفكرة الصليبية التي نسيها الناس في الظاهر منذ أمدٍ بعيد، تعود إلى الظهور من جديد مرة أخرى[٧٥].

وتلك الدعوة لقيت صدى قوي وأشعلت ملوك أوروبا وأباطرتها حماساً في حركة واسعة للوقوف صفاً واحداً لطرد العثمانيين من أوروبا[٧٦]، فأرسل البابا بونيفاس الثاني من روما أربعة آلاف جندي مقاتل، وكذلك ملك فرنسا كارلوس الثالث بستة آلاف مقاتل للانضمام إلى سيجموند ملك المجر[٧٧]، أغلبهم من نبلاء فرنسا، وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا تحت قيادة الشاب الكونت دي نفر[٧٨] ابن ملك دوك بورغونيا[٧٩]، وقد انضم إلى أولئك الجنود وفرسان القديس يوحنا الارشليمي، أمير الأفلاق وبلغاريا اللذان خلعا ولاءهما للعثمانيين[٨٠].

وقبل التحق بالكونت دي نفر، وهو في طريقه إلى بلاد المجر، من ألمانيا حوالي ستة آلاف مقاتل ألماني، بقيادة الكونت بلاتين روبيرت بن روبيرت الثاني، ومن انجلترا عشرة آلاف مقاتل بقيادة هنتجدون، وانحاز إليه حاكم الأفلاق في عشرة آلاف مقاتل، وقدم من بولندا وبوهيميا وإيطاليا وأسبانيا حوالي ثلاثة عشر ألف مقاتل، وكان ملك المجر سيجموند ينتظر هذه الجيوش ومعه حوالي ستون ألف مقاتل[٨١].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى أية حال فإنه لا يهمنا الأعداد المقاتلة للطرفين، بقدر ما يهمنا في النهاية تشكيل جيش صليبي اشتركت فيه كل دول أوربا الغربية، وكذلك دول المواجهة التي تواجه الزحف العثماني أو مناطق السيطرة العثمانية، وقد توافد هؤلاء الجنود الصليبيون إلى بودا، من انجلترا، واسكتلنده، وبولنده، وبوهيميا، والنمسا، وإيطاليا، وسويسرا، وكذلك من بلدان جنوب شرقي أوربا[٨٢]، تدفعهم الروح الصليبية لسحق وطرد الدولة العثمانية من أملاكها في أوربا.

وبعد تردد من البندقية للدخول في هذه الحرب اشتركت وأعدت أسطولاً صغيراً في الدردنيل، وذلك لتفتيش المضيق لجعل خط الإمدادات الأوربية متصلاً بالقوات الموجودة في المجر، لمحاولة درء الخطر العثماني من استغلال هذا المضيق لقطع الإمدادات الأوربية وبالتالي يعمد إلى فشل الحلف الصليبي[٨٣].

وقد استغرقت هذه الاستعدادات الأوروبية وقتاً طويلاً، وكان البابا صاحب الدعوة، وصرفت أوروبا مبالغ كبيرة من الدراهم لم يسبق أن صرفتها أوروبا في القرون الوسطى[٨٤].

وكان الهدف من هذا الحلف الصليبي أو الحملة الصليبية هي هزيمة وسحق الأتراك العثمانيين وطردهم بصورة نهائية من البلقان إلى الأناضول، ثم محاولة الوصول إلى البقاع المسيحية في بيت المقدس بفلسطين، لتخليصها من يد المماليك، وكانت هذه خطة الحملة[٨٥].

لهذا اجتمع المجلس العسكري الأعلى في بودابست، وتم انتخاب ملك المجر سيجمند الأول للقيادة العامة، فاجتاز الجيش الصليبي الحدود المجرية العثمانية ودخل الأراضي العثمانية[٨٦]، عن طريق بلاد الصرب، التي حافظ أميرها على ولائه وعهده للسلطان با يزيد الأول، مما دعا الحلفاء الصليبيون إلى تخريب أراضيه لعدم تحالفه معهم[٨٧].

وقد عبر هذا الحلف نهر الدانوب (الطونة) وعسكر حول مدينة نيكوبلي[٨٨] لمحاصرتها والاستيلاء عليها[٨٩]، وكانت هذه المدينة من أقوى وأهم المعاقل العثمانية على نهر الدانوب في أوروبا، وكانت محصنة تحصيناً قوياً بأسوار منيعة[٩٠].

وظل هذا الحلف الصليبي متمركزاً حول قلعة نيكوبلي الواقعة على الضفة الجنوبية من نهر الدانوب (الطونة) لحصارها والاستيلاء عليها، فلم يستسلم القائد العثماني (دوغان بك) والذي حيدهم عن دخول القلعة وقد مضت فترة أسبوعين أي (١٥) يوماً على حصار الصليبيين لها دون فائدة، في حين وردت الأخبار بأن العثمانيين أخذوا يقتربون من القلعة، وكان جيش السلطان بايزيد الأول قد تحرك من تراقيا، فاق فرسانه، خيالة الصليبيين في سرعة الحركة[٩١]، وقد وصلت مقدمة جيشه تحت قيادته إلى نيكوبلي في يوم الاثنين الموافق ٢٥ سبتمبر ١٣٩٦م، وعسكر بجيشه في التلال على مسافة ثلاثة أميال من الجيش الصليبي[٩٢]، يرافقه كثير من الجيش الصربي بقيادة أميرهم استيفن وفاءً للشرط الذي التزم به في الصلح مع السلطان با يزيد الأول، فتقدم السلطان لحرب الحلف الصليبي المذكور، فاشتعلت نار الحرب بين الفريقين، ولكن فقدان روح النظام عند هؤلاء الصليبيين المحاربين جعل حماسهم عديم الجدوى بالكلية، وذهبت جهود سيجموند لقيادتهم أدراج الرياح[٩٣]، حين بادرهم السلطان با يزيد الأول بالهجوم واشتبك معهم في معركة سال فيها الدم بين الفريقين وانتهت هذه المعركة بفوز العثمانيين على الحلف الصليبي بهزيمة ساحقة[٩٤]، بجيش قوامه حوالي سبعين ألف جندي، وكان الجيش الصليبي مؤلفاً من مائة وثلاثين ألف جندي، إلا أنه لم يكن هؤلاء الصليبيين قد شاهدوا حرباً بهذا الحجم ولا طالعوها في الكتب، كانوا جنوداً جيدين، لكنهم لم يعتادوا إلا على مقاتلة خمسة عشر ألف جندى وجهاً لوجه على أكثر تقدير.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكانوا يجهلون تكتيك الحرب العثمانية، لذلك اضطربوا عندما ضيق عليهم السلطان بايزيد الأول الخناق، وأرادوا النجاة والهرب عن طريق نهر الطونة لكنهم شاهدوا أن النهر من أوله إلى آخره مرصوف بالخيالة الأتراك، فقد حالوا بينهم وبين النهر، فكان العثمانيون الأتراك يقتلون بالسيف من لم يستسلم منهم[٩٥]، أما سيجموند ملك المجر، فقد هرب من المعركة إلى شاطئ البحر الأسود حيث وثب على إحدى السفن من الأسطول النصراني ففرت به إلى أوروبا، وبذلك تضاءلت مكانة المجر في عيون المجتمع الأوربي، وتبخر ما كان يحيط بها من هيبة ورهبة واعتداد بقوة ملكها سيجموند، وبهزيمته أصبح الوضع في البلقان أكثر سوءًا وأصبح الطريق ممهداً أمام العثمانيين لمزيداً من الفتح[٩٦]، وقد أمكن للسلطان إبادة معظم القوة الصليبية الكاثوليكية الضخمة التي احتشدت في (بودا) خلال مدة قصيرة عند قلعة نيكوبلي، وكانت تلك القوة الصليبية خلال زحفها نحو الأماكن تحرق وتهدم ما يصادفها في الطريق وتوقع أنواع المظالم بالسكان الأرثوذكس المحليين، فلما منيت بالهزيمة، تأكد لديهم الرأي القائل باستحالة طرد العثمانيين من الأناضول[٩٧].

وقيل مات من الصليبيين غرقاً في النهر وضرباً بالسيف حوالي مائة ألف جندي، وتمكن من الفرار حوالي عشرة آلاف جندي[٩٨]، كما وقع في الأسر حوالي عشرة آلاف جندي قام الجنود العثمانيون بقتل معظمهم أمام السلطان، منهم كثير من نبلاء فرنسا، وأطلق سراح الباقين منهم يوحنا كونت دي نفر[٩٩]، فقد عفا عنه السلطان لشجاعته وبسالته[١٠٠]، وكانت خسائر الأتراك غير معلومة لديهم، ولكن المصادر الأوربية تقدر حجم الخسائر العثمانية بثلاثين ألف جندي تركي بين قتيل وجريح[١٠١].

وعلى أية حال فقد استطاعت إمارات فيدن البلغارية، من الإفلات والنجاة من السقوط في أيدي العثمانيين ١٣٩٣م، ولكن العثمانيين استطاعوا الاستيلاء عليها في هذه المرة ١٣٩٧م، نتيجة لهزيمة الحلف الصليبي في موقعة نيكوبلي ١٣٩٦م، حيث أصبح الطريق سهلاً وممهداً أمام العثمانيين كما سبق ذكره، لذلك استطاعوا احتلال أثينا، ثم عبروا مدينة اسميوس، واجتاحوا أرجوس، وانتصروا على القوات البيزنطية هناك، واجتاحوا الشاطئ الجنوبي، وكان ذلك إذاناً بأن القسطنطينية قد جاء دورها، بعد القضاء على كل العناصر الصليبية أو التي باستطاعتها أن تمد يد المساعدة لمدينة القسطنطينية، التي كانت تمر بفترة ضعف في السنوات العشر الأخيرة[١٠٢]، هذا الأمر عمل على ذيوع شهرة السلطان با يزيد الأول في العالم الإسلامي كمجاهد كبير،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى ذلك كان في مقدوره أن يضع القسطنطينية تحت الحصار الشديد ويتطلع إلى احتلال روما، وهذا أثار الخوف في نفوس أهلها، أما الإمبراطور البيزنطي فقد كان يعتقد عن إيمان أن إنقاذ القسطنطينية لن يتم إلا عن طريق المساعدة التي يمكن الحصول عليها من الخارج، كما توقع أن فتح القسطنطينية قريب المنال[١٠٣]، وأعلن السلطان با يزيد الأول أنه سيحتل إيطاليا، بعد فتح القسطنطينية، وأن حصانه سيتناول طعامه على مذبح كنيسة القديس بطرس في روما[١٠٤].

عندما فقدت بيزنطة كثيراً من تأثيرها وهيبتها بعد معركة نيكوبلي، مما جعل الإمبراطور مانويل الثاني يطلب المساعدة من روسيا والبندقية، وملك فرنسا وبريطانيا لإنقاذ القسطنطينية من تهديد العثمانيين لها، فاستجاب شارل ملك فرنسا لطلب مانويل، فأرسل من المضحك فرقة تتكون من ألف ومائتين جندي تحت قيادة المارشال بوكيكو (Boucicaui) الذي سعى لشق طريقه إلى القسطنطينية، ولكن القوة التي كانت معه صغيرة لن تستطيع إنقاذ القسطنطينية[١٠٥].

في نفس الوقت كان حنا السابع منافس الإمبراطور مانويل الثاني على العرش يتفاوض في فرنسا لبيع حقه في العرش لملك فرنسا مقابل قصر هناك، ودخل يقدر بمائتين وخمسين ألف فلورين ذهبي، فقرر الإمبراطور مانويل الذهاب إلى الغرب لطلب المساعدة، وتدخل بوكيكو للصلح بين الإمبراطورين البيزنطيين المتنازعين (حنا ومانويل) وتقرر أن يحكم حنا السابع كإمبراطور في القسطنطينية في غياب مانويل، ومع ذلك فإن مانويل لم يكن يأمن له، فأرسل أسرته عند أخيه في المورة، وذهب في رحلة لطلب المساعدة من الغرب، فزار البندقية وعدداً من المدن الإيطالية، ثم ذهب إلى باريس، ومنها إلى لندن، ولم تحقق رحلته نتائج إيجابية إلا بعض الوعود، التي لم تتحقق لصد الهجوم العثماني المحتمل لفتح المدن فرحل إلى باريس مرة أخرى، وأقام بها عامين، إلى أن وصلته أخبار هزيمة السلطان با يزيد الأول على يد المغول مما جعل القسطنطينية تنعم بفترة راحة من الاستقرار[١٠٦] كما سيأتي ذكره.

وفي الحقيقة أن الصربيين قد أثبتوا ولاءهم للدولة العثمانية في ساحة نيكوبلي، والتي أحرز فيها السلطان با يزيد الأول بمساعدتهم قمة مجده في تلك المعركة، فأرسل من ميدان القتال إلى قاضي بروسه يخبره فيه بانتصاره في نيكوبلي[١٠٧]، كما بعث من أدرنه عاصمة بلاده الرسائل إلى كبار حكام المشرق الإسلامي، يزف فيها بشرى انتصاره في معركة نيكوبلي، وقد أرسل مع الرسل مجموعة من الأسرى الصليبيين كهدايا من المنتصر دليلاً مادياً على انتصاره، واتخذ لقب

« سلطان الروم » كدليل على وراثته لدولة السلاجقة وسيطرته على كل شبه جزيرة الأناضول[١٠٨]، وبهذا الانتصار العظيم الذي حققه السلطان با يزيد الأول في معركة نيكوبلي رسخت أقدام العثمانيون في البلقان، حيث انتشر الخوف بين الشعوب البلقانية، وخضعت بلغاريا والمجر للدولة العثمانية، وعاقب السلطان حكام جزيرة المورة الذين قدّموا المساعدات للحلف الصليبي[١٠٩]، ويعني ذلك أن العثمانيين بهذا العمل قد سيطروا على شبه جزيرة البلقان كلها ما عدا مدينة القسطنطينية وما حولها[١١٠].

العلاقة المملوكية العثمانية فى بداية عهدهاتختلف عن نهايته :

وكانت العلاقة المملوكية العثمانية في بداية عهدها طيبة، فلم يحدث بين الدولتين صدام، لعدم ظهور أطماع لأي منهما في أملاك الآخر، وقد زاد من تحالفهما الخطر المغولي الزاحف نحو الغرب، المتجه نحو بلادهما[١١١].

لذلك أرسل السلطان با يزيد الأول إلى الخليفة العباسي المتوكل المقيم في القاهرة، طالباً منه أن يخلع عليه لقب سلطان الروم لكي يسبغ على السلطة التي مارسها أو تمتع بها هو وأجداده من قبل طابعاً شرعياً رسمياً لتزداد هيبته لدى العالمين الإسلامي والمسيحي، ولم يكن في استطاعة السلطان برقوق – حامي الخليفة العباسي – أن يتعلل أو يرفض طلب السلطان، بل وافق عليه، إذ كان يرى في السلطان العثماني حليفه الأوحد ضد قوات تيمورلنك التي كانت تهدد كلا الطرفين بخطر عظيم[١١٢]، لذلك خلع عليه الخليفة العباسي لقب سلطان أقاليم الروم تدعيماً لموقفه هناك، وتوحيداً لجهودهما معاً ضد الغازي المغولي لهما على حد سواء[١١٣]، وعلى الرغم من مخاوف السلطان برقوق من الخطر المغولي نحو بلاده، إلا أنه كان يخاف أكثر من أطماع العثمانيين[١١٤]، وهنا يجب التنويه أن السلطان با يزيد الأول، وهو أول من لقب «سلطان آل عثمان»، لذلك لم ينتقل آل عثمان من طور الإمارة إلى دور السلطنة إلا في عهد السلطان با يزيد الأول، وعلى يديه أصبحت الأمارة العثمانية الدولة التي عرفت باسم الدولة العثمانية، كما أن هذا السلطان بحق هو أول من فكر في توحيد العالم الإسلامي، وكانت طموحاته أن يقوده تحت إمرته[١١٥]، وقد تدفق على الأناضول آلاف المسلمين الذين قدموا لخدمة الدولة العثمانية وسلطانها، وكانت هذه الهجرة لم تقتصر على رعايا التركمان، بل كانت مليئة بالجنود الذين أسهموا في الحياة الحكومية والاقتصادية والثقافية، في إيران والعراق، وما وراء النهر، إضافة إلى الجموع الفارة أو الهاربة من أمام زحف قوات تيمورلنك من أواسط آسيا[١١٦].

وقد صدقت مخاوف السلطان برقوق حين أخذ السلطان با يزيد الأول يتطلع إلى المماليك في آسيا الصغرى، شرق الأناضول، فكان احتكاكه أكثر من مرة بدول المماليك في مصر والشام، فقد هاجم قيصرية، وقبض على أميرها الذي كان يتبع لدولة المماليك، وسيطر على بلاد القاضي برهان الدين وسط الأناضول، وحين بدأت انتصاراته[١١٧] حضر بنفسه في ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م، إلى سيواس، وشاهد الوضع هناك، وكان ابنه محمد الأول (جلبي)، والياً على هذا الإقليم[١١٨]، ولما علم السلطان با يزيد الأول بوفاة الأمير برقوق، وتولى ابنه فرج الحكم مكانه على مصر أرسل إليه رسولاً يعرض عليه ترك « ملاطية » الآهلة بالسكان الأتراك لأنها تخص القاضي برهان الدين التي آلت بلاده للسلطان العثماني، وعندما تلقى الجواب بالرفض من الأمير فرج المملوكي قام بإعداد جيش لهذا الغرض ونزل به من سيواس إلى ملطية، وقام بحصارها حتى استسلم أهلها في شهر محرم ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م، فأخذها عنوة من المماليك[١١٩] وقد أدى ذلك الأمر إلى توتر العلاقات المملوكية العثمانية في الوقت الذي كان فيه خطر تيمورلنك ماثلاً على أبواب الأناضول (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م)، فاحتل السلطان العثماني المدن المملوكية الأخرى، كحصن منصور (آدي يمان) كاهته بسني دارنده، ديوريغي البستان، حتى تجاوزت الحدود العثمانية نهر الفرات، كما اعترف بنو دلقادر بالسيادة العثمانية في ٢/٩/١٣٩٩م، وخضعت له مدينة خربوت وارزبجان، وهكذا تكونت الوحدة الأناضولية التي يسعى من أجلها لإعادة أحياء تركية علاء الدين السلجوقية في آسيا الصغرى[١٢٠].

هذه السياسة الجزئية منه في الشرق أوقعته فيما بعد لأن يدخل ساحة نفوذ تيمورلنك من ناحية والأراضي المملوكية من ناحية أخرى، حتى وجد نفسه وجهاً لوجه أمام تيمورلنك[١٢١] كما سيأتي.

وعلى أية حال فقد شعر السلطان با يزيد الأول بما شعر به القاضي برهان الدين أحمد حاكم سيواس آنذاك، لما كان على قيد الحياة بالخطر المغولي عقب استيلاء تيمورلنك على بغداد للمرة الأولى حين لجأ للعثمانيين والمماليك في مصر، وشرح لهم هذا الوضع المريب من أطماع المغولي، فاقترح بإعداد حلف ضد تيمورلنك، ولكنهما (العثمانيون والمماليك) لم يهتموا بهذا الأمر[١٢٢].

لذلك أحس السلطان العثماني كما سبق ذكره بحرج موقفه وخطأ ما أقدم عليه، عندما أحس بالخطر المغولي يقترب من بلاده، ولا نصير له في المنطقة سوى دولة المماليك، فقام بالاعتذار

لسلطان المماليك الناصر صلاح الدين بن فرج بن برقوق عما أقدم عليه، وأرسل له هدية ثمينة مع أحد رسله، وظل السلطان بايزيد الأول يؤكد صداقته.واحترامه لسلاطين المماليك[١٢٣]، حتى طلب من السلطان المملوكي فرج ما طلبه القاضي برهان الدين وهو التحالف معه ضد الخطر المغولي الذي أصبح على مقربة من بلادهما، فرفض السلطان المملوكي فرج ذلك التحالف بعد التشاور مع أمراء المماليك، الذين تأثروا باحتلال السلطان العثماني لملطية وغيرها من الممالك التابعة للدولة. فقضى هذا الاحتلال على إمكانية التحالف بينه وبين السلطان فرج بن برقوق، وقد استفاد تيمورلنك من هذا الخلاف والتنافر بين المماليك والعثمانيين في صالحه[١٢٤]، حيث تمكن من مداهمة كلا القوتين على انفراد[١٢٥]، فقد غزا سيواس العثمانية وقام بتخريبها وبهذا العمل فقد أنزل بالعثمانيين أول ضربة، واكتفى في بداية الأمر بسيواس، ولم يتقدم نحو الأراضي العثمانية.

أما السلطان با يزيد الأول فقد شعر بأن الوضع في سيواس مؤلم، فقد تأثر كثيراً، لعدم استعداده لملاقاة تيمورلنك على الفور، لكنه سار بقواته إلى قيصرى، وانتظر تيمورلنك، لكن تيمورلنك اتجه نحو سوريا[١٢٦] وهاجم المماليك في مصر والشام وتمكن من هزيمتهم سنة ١٤٠٠م، بالقرب من مدينة دمشق[١٢٧].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما رأى السلطان العثماني اتجاه تيمورلنك نحو المماليك قاد الجيش العثماني بنفسه إلى الحدود الشرقية، وأخذ مدينة أزربيجان من أميرها مهتران حليف تيمورلنك، وبعد ذلك خيّره بأن يعيد له المدينة على أن يصبح - مهتران - تابعاً له ويكون حاكماً على أزربيجان ثم أخذ عائلة مهتران كرهينة لديه حتى يضمن ولائه، وأرسلها إلى مدينة بروسة (بورصة) وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م، وبهذه الصورة فقد اتسعت الفجوة بين تيمورلنك وبايزيد الأول لغارته على أمير ازربيجان التابع لتيمورلنك[١٢٨].

وبعد ذلك عاد السلطان إلى عاصمته بروسه (بورصة) ليستريح من عناء الحروب، وليمتع باللذات[١٢٩] ونشوة انتصاراته، وأيضاً مراقبة الزحف المغولي، ورصد اتجاهاته للاستعداد له، وبينما هو على تلك الحال، فقد أرسل تيمورلنك خطاباً أثناء حملته لسوريا يهدد السلطان بايزيد فيه، وينبه من الغفلة، لارتكاب الأخطاء ضد حلفائه وأمراء الإمارات السلجوقية المسلمين الذي اغتصب ممتلكاتهم، وتهديده لدولة المماليك، كما ذكّره بغموض أصل أسرته، فأغلظ له السلطان بايزيد الأول الجواب مع رسوله[١٣٠]، وبين له أنه من أسرة عريقة ذات أمجاد معروفة، ومن نسب

عالي، وطلب بأن يكون تيمورلنك تابعاً له مفاخراً بتاريخهم العظيم، فانصرف الرسول المغولي مخذولاً[١٣١].

استغلال الخلاف بين السلطان بايزيد الأول وتيمورلنك :

استغل إمبراطور القسطنطينية وملوك أوروبا هذا الخلاف الذي وقع بين السلطان بايزيد الأول وتيمورلنك، وطلبوا من الأخير نجدتهم لإنقاذ سقوط القسطنطينية في يد السلطان بايزيد الأول، وكان تيمورلنك قد بدأ مواصلة فتوحاته وزحفه نحو خوارزم وبالتحديد قد وصل إلى ما بين النهرين لمواصلة قتال السلطان با يزيد الأول[١٣٢]، الذي كان ينوي حصار القسطنطينية، ولما علم أن إمبراطور القسطنطينية قد استنجد بتيمورلنك، تقدم بجيشه لحصار القسطنطينية، عقاباً له على موقفه العدائي، ثم طلب السلطان تسليم المدينة، واتبعها بالاستيلاء على الشاطئ الآسيوي وعلى جزء ضيق من مضيق البسفور، ولكن الإمبراطور رفض تسليم القسطنطينية، فأحكم السلطان الحصار عليها مصمماً في هذه المرة فتحها[١٣٣].

وفي أثناء هذا الحصار وصل السلطان بايزيد الأول رسالة من تيمورلنك، يأمره فيها بإعادة جميع أراضي بيزنطة التي سبق للسلطان الاستيلاء عليها ورفع الحصار عنها، وفي نفس الوقت بلغه زحف تيمورلنك إلى أطراف بلاده، فشق على السلطان العثماني هذا الأمر، لذلك رأى رفع الحصار عن القسطنطينية - للاستعداد لصد الزحف المغولي عن بلاده - بعد أن شارفت على السقوط واكتفى بالصلح مع ملكها، مع أن أوربا كانت تتوقع سقوطها في أي لحظة لعدم استطاعتهم تقديم المساعدة المطلوبة لخوفهم من السلطان العثماني[١٣٤].

غير أن التقدم الذي أحرزه السلطان با يزيد الأول في الأناضول عقب النجاح الذي حققه في الغرب جعله يقف وجهاً لوجه أمام تيمورلنك الذي ظهر من الشرق على مسرح الأحداث لغزو العثمانيين[١٣٥]، نظراً لسياسة السلطان العثماني الخاطئة لاتجاهه نحو المشرق مخالفاً في ذلك سياسة أسلافه الذين كان هدفهم الجهاد لنشر الإسلام نحو الغرب، فاكسبته تلك السياسة عداوة الجميع من مسلمين وأوربيين، فأنقذ هذا الغزو سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني، الذي كان يدعي لنفسه الوصاية في الأناضول كوريث للمغول، ونتيجة لسوء علاقته أيضاً مع سلطان المماليك، وجد نفسه وحيداً أمام تيمورلنك، وكان أمراء الأناضول الذين طردهم من إماراتهم وحوّلها أو ضمها لدولته فأصبحت أراضي عثمانية، وكذلك رجال الإقطاعات كانوا غير

راضين عن السياسة المركزية التي أتبعها السلطان وطبقها، هؤلاء جميعاً كانوا يرون في تيمورلنك أنه منقذ لهم[١٣٦].

وكان يمكن لبايزيد الأول اكتساح أوروبا، لولا ما قدّره الله، من قدوم خطر تيمورلنك، الذي عصف بالسلطنة العثمانية، وتسبب في انهيارها لفترة حتى استعادت وحدتها على يد ابنه السلطان محمد الأول[١٣٧].

وعلى أية حال فقد حشد السلطان با يزيد الأول جيوشه التي كانت متفرقة في أنحاء أوروبا وآسيا عائداً بها إلى بروسة (بورصة) عاصمة بلاده للاستعداد لحرب تيمورلنك[١٣٨]، ويعني ذلك تحويل جيشه صوب الشرق، لإبعاد الخطر الجديد خطر المغولي تيمورلنك عن الدولة العثمانية[١٣٩].

وتيمورلنك هذا ينتمي إلى الجنس التركي، ينحدر في أصوله إلى إحدى الأسر الكريمة في بلاد ما وراء النهر، تولى هذا القائد عرش خرسان عام ١٣٦٩م، وعاصمته سمرقند، في الوقت الذي كان فيه السلطانين مراد الأول وابنه بايزيد الأول يرسيان قواعد دولتهما البلقانية، سيطر تيمورلنك على القسم الأكبر من العالم الإسلامي، فقد انتشرت قواته في آسيا من مدينة دلهي إلى مدينة دمشق، ومن بحر أرآل إلى الخليج العربي، واحتل فارس وأرمينيا، وأعالي الفرات ودجلة، والمناطق الواقعة بين بحر قزوين إلى البحر الأسود، وفي روسيا سيطر على المناطق الممتدة بين أنهار الفولجا والدون والدنيبر[١٤٠]، وأعلن بأنه سيجعل الأرض المسكونة ملكاً له، وكان دائماً يردد هذا القول: « أنه يجب ألا يوجد سوى سيد واحد على الأرض، طالما أنه لا يوجد إلا إله واحد في السماء »، وكان يكره أن تكون هناك قوة أقوى منه أو منافسة له.

وقد اتصف تيمورلنك بالشجاعة والعبقرية الحربية والمهارة السياسية، وكان إذا قرر أمراً يطّلع على التقارير التي يبعثها إليه جواسيسه الذين كان يرسلهم إلى ذلك المكان، ليكون ملماً بقوة وضعف أعدائه.

وكان تيمورلنك لا يتسرع في اتخاذ القرارات بل يوازن ويفكر بترو حتى يتخذ القرار المناسب، ثم يتمسك به، لهيبته التي كان يتمتع بها بين جنوده، وكانوا يطيعون أوامره أياً كانت ومهما كانت.

على أن تيمورلنك باعتباره مسلماً صالحاً كان يراعي العلماء ورجال الدين وبخاصة دراويش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطريقة النقشبندية، وكانت دولته شبيهة بدولة السلطان بايزيد الأول من حيث أنهما قامتا على أنقاض دول صغيرة لجأ أمراؤها إلى كلا الجانبين كما سبق ذكره[١٤١].

ومهما يكن القول فقد واصل تيمور زحفه حتى وصل إلى بغداد في العراق، فهرب حاكمها السلطان أحمد جلائري[١٤٢]، خوفاً من بطشه، كما هرب حاكم أزربيجان قرة يوسف، والتجأ بعائلتيهما إلى السلطان بايزيد الأول، وكان تيمورلنك يسعى لنصرة أمراء القرمان وأوربا الذين استطاعوا استمالته، وقد وافق ذلك ما بنفسه من أطماع لمد نفوذه على بلاد الشام وبلاد الأناضول، لذلك أرسل سفيراً إلى السلطان بايزيد الأول يطلب فيه تسليم أحمد جلائري، وقرة يوسف ولكن السلطان رفض هذا الطلب، وعاد السفير إلى تيمورلنك[١٤٣].

محاولة للصلح بين تيمور لنك والسلطان بايزيد الأول :

وفي رواية أرسل تيمورلنك خطاباً إلى السلطان بايزيد الأول يريد الصلح دون قتال حيث قال: « أنت رجل مجاهد في سبيل الله، وأنا لا أحب قتالك، ولكن انظر أي البلاد التي كانت معك من أبيك وجدك، فاقتنع بها وسلم إليّ البلاد التي كانت من إرثنا ».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أشار الصدر الأعظم العثماني علي باشا على السلطان بايزيد الأول بأن يتبع سياسة السلم والصلح مع تيمورلنك، وقد أرسل سفيراً إلى تيمورلنك للتفاهم في الصلح، وكلفه السلطان بعمل معاهدة إذا اتفقا، ولكن تيمورلنك لم يكترث بالأمر، بل زحف إلى حدود الأناضول، وأخبر سفير السلطان العثماني بأنه ينتظر رد سلطانه بايزيد الأول، وسمح للسفير والوفد المرافق له بالعودة وأرسل معهم سفيره الخاص بالشرط التالي :

أن تيمورلنك يريد استلام قرة يوسف بصفة خاصة حياً أو ميتاً، لكن السلطان بايزيد أجاب السفير، بأن قرة يوسف لم يقدم له أي معلومات أو مساعدة، وأنه في ضيافته الخاصة، لذلك لا يمكن أن يسلم إليه كل من جاء إليه لاجئاً مهما كلفه ذلك من أمر[١٤٤].

بيد أن السلطان العثماني كان لديه خفة وشجاعة، ولم يكن عنده صبر ساعة، كان إذا تكلم وهو في صدر المجلس فإنه لا يزال في حركة زحف أو اضطراب حتى يصل إلى أطراف الإيوان، ولما وصل شرط تيمورلنك إليه رفض تنفيذ هذا الصلح واستهجنه في أسلوبه وفرض ما يريد، لذلك ردّ عليه مهدداً ومتحدياً قوته ومرحباً بقدومه للقتال[١٤٥] دون ضيفه.

لذلك أدرك تيمورلنك أنه لا يمكنه حرب السلطان العثماني على الأقل في هذا الوقت الحاضر مثل ما كان يفعل في الماضي، واضطر أمام ذلك إلى نقل معظم قواته إلى وسط آسيا وبالتحديد في مدينة «قرباغ» حيث قضى الشتاء بها[١٤٦].

وكما لجأ أمراء العراق وأزربيجان إلى السلطان العثماني بايزيد الأول، فقد لجأ من قبلهم إلى تيمورلنك أمراء الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى، وفي كلا الجانبين أصبح اللاجئون يحرضون ويحركون كل طرف لشن الحرب ضد الآخر، ولم تجد هذه التحريضات آذاناً صاغية في بادئ الأمر من الطرفين[١٤٧].

الصليبيون يحرضون تيمور لنك للهجوم على العالم الإسلامى :

وقيل أو أشيع بأنه قد دخل طرف ثالث وهم الصليبيون الذين عمدوا إلى تحريض تيمورلنك على هجوم العالم الإسلامي من جهة الشرق وذلك عن طريق بناتهم اللواتي كن في قصور أمراء وحكام المغول مستغلين هذا عن طريق السياسة والمفاوضات[١٤٨]، وخاصة من المدن الأوربية، (جنوة وقشتالة)، الحاقدة على السلطان بايزيد الأول، فقد شجعت تيمورلنك على حرب الدولة العثمانية[١٤٩].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن تيمورلنك لم يستمع إلى رسلهم بسبب تمسكه بالإسلام من ناحية ومن الناحية الأخرى، لم يكن هناك ما يدل على تقديم أي مساعدات مجدية يمكن أن تقدمها كل من جنوة وقشتالة له، ولكن هذه الاتصالات قد تكون شجعت تيمورلنك على العمل ضد العثمانيين[١٥٠]، ومستغلاً كراهية المماليك وأمراء الأناضول وشعوبهم الإقطاعيين لحكم السلطان بايزيد الأول، وقد هيأت هذه الظروف المناخ لتيمورلنك لغزو بلاد السلطان العثماني.

إضافة إلى أن الصليبيين قد زوجوا بناتهم، وأهدوا بعض جواريهم الحسان للعمل في قصور حكام المغول وأعيانهم لاستمالة قلوبهم قبل عقولهم لتحريكهم لغزو الدولة العثمانية من المشرق حتى تتوقف حركة جهادهم عن الفتح في أوروبا، وهم يتولون الهجوم المعاكس من الغرب ليتمكنوا من إبعاد خطر العثمانيين عن أوروبا كلها بمساعدة المغول، وقد حاولوا من قبل صرف السلطان بايزيد الأول إلى الشرق ليركز جهوده في توحيد الإمارات الإسلامية بالأناضول لتحويله عن أوروبا، وبالتالي يفسح لهم المجال للزحف إلى بلاد الشام للاستيلاء على القدس الشريف في فلسطين[١٥١].

وكانت نتيجة حربه مع هذه الإمارات المسلمة والتي فرّ أمرائها للاحتماء بتيمورلنك وطلب المساعدة منه لاسترداد إماراتهم في نظري أهم أسباب غارة المغول على الدولة العثمانية، إضافة إلى أطماع المغول منذ موجهاتهم الأولى، وقد تكون هذه الحملة استمراراً للغارات السابقة التي قامت في وسط آسيا.

إلا أن ما برره تيمورلنك لهذه الغارة هو خوفه من تحركات السلطان بايزيد الأول ضده، وضربه من الخلف لأنه كان يفكر في غزو الصين لتوسيع ممتلكاته، فخشى تحالف المماليك مع الدولة العثمانية للحرب ضده، وهذا فيه شيء من الصحة لذلك لابد أن يستثمر التنافر الحالي بينهما في صالحه، وكان يتحين الأسباب والفرص وحين سنحت له، بادر بالزحف على الدولة العثمانية[١٥٢].

والحقيقة أن الدولة العثمانية بدأت هي الأخرى منذ فترة من الزمن تستشعر نوايا الخطر المغولي يهددها من الشرق، مما يتيح لبيزنطة فرصة جديدة يتنفسون من خلالها الصعداء وينفكون من الضغط العثماني[١٥٣].

وهذه دلالة واضحة على تأثير أوروبا على فكر تيمورلنك وأمرائه عبر بناتهم وجواريهم، لذلك استجابوا لقلوبهم قبل عقولهم، فكانت الكارثة بين المسلمين كما سيأتي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أدرك السلطان با يزيد الأول حتمية الصراع مع تيمورلنك، ولهذا السبب قيل أنه سعى إلى تقوية مركزه الحربي في آسيا الصغرى عن طريق القضاء على الإمارات التي قامت على أنقاض دولة السلاجقة[١٥٤]، وهذا احتمال ضعيف يؤكده الباحث بل تقوده الأطماع لتوحيد أمارات الأناضول تحت حكمه مهما كلفه ذلك الأمر.

لذلك أخطأ حين اتجه إلى ضم دول إسلامية كانوا كثيري العدد، وغير راضين عن سياسة السلطان الذي أخذ يتدخل في شئونهم الخاصة دون مراعاة لهم، وفي هذه السياسة التي اتبعها قد خالف فيها أسلافه في سياسة الفتح العثماني، وهو الاتجاه نحو الغرب للفتح ونشر الإسلام هناك، دون الالتفات إلى الممالك الإسلامية في المشرق[١٥٥]، وكان ينبغي عليه أن يعقد مع تلك الممالك حلف صداقة وحسن جوار ليستعين بهم في أي لحظة ضد أوروبا، ويكونون بجواره في مثل هذه المحن لا ضده كما هو الحال.

لهذا سقط السلطان في طموحاته، عندما تعددت عليه الجبهات واتسعت الفجوات في الغرب والشرق الإسلامي، ولم يبق له صديق، مما أكسبه عداوات المسلمين قبل الأوربيين لتدخله في

شئونهم، وكان عليه أن يكسبهم إلى جانبه دون الدخول في صدام معهم والحقيقة أنه كان شجاعاً مقداماً، ولكن يبدو لم تكن عنده حنكة وسياسة أجداده المؤسسين في الفتح العثماني[١٥٦].

أما السلطان بايزيد الأول فكانت تعيب سياسته التعجل في الفتح العثماني، دون تمييز بين الدول الإسلامية والأوربية، كان أسلافه في فتح أي مدينة في الغرب وليس في المشرق الإسلامي يستريحون حتى تستقر أحوال هذه المدن ويضمنون ولاءها وانتظامها ضمن ممالكهم السابقة حينئذ يبدءون بغزو جديد، وهكذا كانت سياستهم في فتوحاتهم في اتجاه واحد منذ تكوين دولتهم.

وعلى أية حال فعندما رفض السلطان بايزيد الأول تسليم أعداء تيمورلنك إليه بشكل سافر، والتزم بحمايتهم، مهما كلفه ذلك الالتزام، لذلك تردد تيمورلنك في بداية الأمر في غزو السلطان بايزيد الأول حتى لا يثير المشاكل والمشاعر ضده في العالم الإسلامي، والتي لم تكن أساساً في صالحه، باعتباره أحد قوى العالم الإسلامي، ولكنه كان عازماً على فتح بلاد الصين، وإدخالها إلى الإسلام، وكان يعلم أن الدولة العثمانية لا تبالي بأية حدود بينهما، كما كان يخشى من استمرار استيلائها على الإمارات السلجوقية في آسيا الصغرى والتي لجأ إليه حكامها لتخليصهم منه في استرجاع أقطارهم[١٥٧]، وخاصة أن تيمورلنك قد بدأ بغزو الحدود العثمانية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان تيمورلنك يعلم أن غالب جند السلطان بايزيد الأول هم من السلاجقة، أبناء الإمارات المذكورة ففكر في استمالتهم في صفه، لذلك أرسل إلى زعمائهم وكبار رجالهم، يذكرهم بجنسهم ولجوء أمرائهم لديه، ويعدهم ويمنيهم صادقاً بإعادة ممتلكاتهم التي سلبها السلطان بايزيد الأول منهم، فوعدوه سراً بالانضمام إليه عند الحرب[١٥٨]، وقد نجح تيمورلنك في هذه المهمة من اختراق صفوف السلطان العثماني بأخذ هذه الموافقة، والتي تعد من أهم العوامل التي أسقطت بايزيد في الميدان كما سيأتي الحديث عنه.

عندئذ بدأ تيمورلنك بعد أن ضمن ولاء أبناء الإمارات السلجوقية داخل جيش السلطان العثماني غارته في سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، بجيوشه على بلاد آسيا الصغرى التابعة للدولة العثمانية، وفتح مدينة سيواس بأرمينيا، وأسر حاكمها أورخان ابن السلطان بايزيد الأول، ثم قام بقطع رأسه، لرفض والده تسليم أحمد الجلائري، وقرة يوسف له[١٥٩].

ثم أعقب ذلك قتل ما أسره من العثمانيين، لكنه اعترف أنه لم يلق صموداً في الحرب طيلة حياته مثل صمود آل عثمان، لذلك أدرك عدم مقدرته إسقاط القلاع الأناضولية، لكنه كان يطمع

في إبادة الجيش العثماني، عندئذ انسحب من الأناضول إلى قفقاسيا، متجنباً الحرب مع السلطان بايزيد الأول، على أمل أن يعترف له بالتبعية مثل ما اعترف له سلطان الهند والمماليك من قبل، ولكن السلطان بايزيد الأول غيرهم، فقد رفض الاعتراف بتيمورلنك، وبصيغة فيها تحقير، فلم يتحقق أمله، وظن السلطان العثماني بعد ذلك الانسحاب أن المشكلة قد انتهت، ولكن الحقيقة أن تيمور كان ينوي العودة بتخطيط جيد لكسب المعركة[١٦٠].

تيمور لنك يستعد لشن الحرب على الدولة العثمانية:

ولكن آراء أمراء تيمورلنك وأتباعه وحتى أولاده وأحفاده انقسمت إلى من يريد منعه من التحرك إلى الأناضول، لأنه لا يليق بهم حرب الدولة العثمانية السنية، حنفية المذهب والتي تنطق أيضاً التركية مثلهم، وحاملة لراية الجهاد الإسلامي، وهناك من يشكك في قدرة انتصاره على السلطان بايزيد الأول لقوة المقاومة التي لقيها جيشه في سيواس واعترف بها تيمورلنك نفسه، وهناك فريق آخر يحرضه على حرب العثمانيين[١٦١]، ويبدوا أنهم أمراء الأناضول اللاجئين لديه.

وقد حاول تيمورلنك خلال قضائه الشتاء في قفقاسيا إقناع أمرائه وأبنائه المعارضين لشن الحرب على الدولة العثمانية بدفعه شكه باحتمال ضرب السلطان بايزيد الأول لجيشه من الخلف أثناء حملته المرتقبة على الصين[١٦٢]، لأن السلطان بايزيد الأول كان ينوي الاستيلاء على مناطق أزربيجان والجزيرة، والعراق إذا ترك تيمورلنك هذه الأماكن، لذلك كان لا يريد ترك منافس قوي خلف ظهره، وخاصة إذا كان خصمه السلطان بايزيد الأول، إلا أنه في نهاية المطاف طلب تيمورلنك من السلطان بايزيد الأول قبول شروطه لإنهاء الحرب معه وهذه المطالب هي كالتالي :

(١) إطلاق سراح مهتران حاكم أزربيجان مع عائلته.

(٢) إرسال السلطان لأحد أبنائه كرهينة لديه.

(٣) إرسال ما يدل على خضوع السلطان بايزيد له.

(٤) إعادة إمارات الأناضول إلى أمرائها.

(٥) تسليم قرة يوسف وأحمد جلائر وتسليم عائلتيهما مقابل مساعدة العثمانيين في حروبهم مع الصليبيين.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان جواب السلطان بايزيد الأول مع صدره الأعظم الذي كلفه بالتحرك لمواجهة تيمورلنك رداً على شروط الصلح قوله : « إن قواتنا سوف ترد لنا شرفنا، ولن نعيش عبيداً أو خاضعين لأحد » وفي نفس الوقت رفع الحصار عن القسطنطينية، وعقد مع إمبراطورها مانويل معاهدة صلح، ثم سحب جيشه مضطراً للاستعداد لمقابلة المغولي، وعندما كتب السلطان بايزيد الأول رسالته إلى تيمورلنك فإنه كتب اسمه بحروف كبيرة واضحة، بينما كتب اسم تيمورلنك بالحروف السوداء الصغيرة احتقاراً له[١٦٣].

هذا الرد ساعد تيمورلنك على إقناع قادته بالحرب ضد السلطان العثماني، وبين لهم سياسة بايزيد المتسرعة لأطماعه وتحقيق طموحاته، في حين أن قدوم تيمورلنك هو الآخر من الشرق إلى تلك المنطقة تقوده الأطماع والمغامرة للتوسع، فقد أضرم نار الحرب من موسكو إلى نهر الكنج حتى وصل إلى سوريا المملوكية، تدفعه إضافة إلى أطماعه استجابة بعض ملوك أوربا، وملك القسطنطينية، الذين استنجدوا به لصد بايزيد الأول عن فتح القسطنطينية كما سبق ذكره. لذلك اتخذ تيمورلنك من قضيتي أحمد جلائري حاكم العراق وقرة يوسف حاكم أزربيجان اللذين لجأ إلى السلطان بايزيد الأول ذريعة للغارة على الدولة العثمانية[١٦٤].

ويعني أن أطماع تيمورلنك وتوسعاته لا تقل مكراً عن السلطان العثماني، أما السلطان بايزيد الأول فقد قام خلال تلك الفترة، بإعداد جيوشه التي كانت متفرقة في أوربا، وطلب الاستعانة من حلفائه الصرب، وعاد إلى بروسه العاصمة[١٦٥]، وخاصة عندما علم بسير تيمورلنك إلى سيواس وخذلان أبطاله في مدينة سيواس، حين استقوى عليهم تيمورلنك بجيشه الكبير وقتل ابنه، وملأت انتصاراته الأسماع، وألقت الخوف والرعب في قلوب الجيش العثماني لقساوته في معاملة أسراه[١٦٦]، ولكن هذا الأمر لم يخيف مثل السلطان بايزيد الأول، الذي سار بجيشه لحرب هذا المغولي الذي أفسد عليه فتح القسطنطينية، وانتقاماً لدم ابنه[١٦٧]، حينما علم من عيونه أن تيمورلنك في سيواس، سار إلى أنقرة، يريد أخذ بعض الولايات قبل وصول تيمورلنك لها، مثل مدينة قاضي برهان الدين، ومدينة اقتراع الجبلية (التي استولى عليها تيمورلنك) كما سبق، لأن أغلب جنوده كانوا من المشاة فلابد أن يختار المواقع المرتفعة، وقد وفق في هذه الخطة ضد تيمورلنك في أول الأمر، لأن قوات تيمورلنك أغلبهم من الفرسان.

ثم أصدر السلطان بايزيد الأول أوامره إلى الصدر الأعظم للدولة علي باشا وقادة الجيش بعدم

القيام بحرب ميدانية، وأرسل قوة من الجيش تقطع الطريق على تيمورلنك في المنطقة الموجود بها، واعتراض إمدادات جيشه التي ستلحق به، وكان إقدام السلطان على هذه الخطة لاعتداده بنفسه وفي قواته بالانتصار على قوات تيمورلنك.

وعندما تلاقت طلائع القوتين المغولية والعثمانية في مناطق سيواس وتوقاد، رأى تيمورلنك أنه في خطر إذا حارب في هذه المنطقة لسيطرة القوات العثمانية على الممرات الواقعة بين سيواس وتوقات.

لذلك انسحب من تلك المنطقة مسرعاً نحو مدينة قيسرية بناء على ما ورده من معلومات عن القوات العثمانية وتمركزها في المواقع المهمة السابقة، لكنه لم يذهب بكل القوات بل بقواته الاحتياطية، وكانت قليلة حتى يتجنب مواجهة العثمانيين، وبسبب انسحاب تيمورلنك وعدم قبوله للحرب بين توقاد وسيواس، فإن السلطان بايزيد الأول ترك قوة صغيرة في الموقع المذكور واتجه نحو الغرب في نفس الاتجاه الموازي لقوات تيمورلنك[١٦٨].

والحقيقة أن تيمورلنك كان يريد أن يسحب أو يستدرج قوات السلطان بايزيد الأول خلفه، إلا أن السلطان عرف اللعبة ولم تنطل عليه هذه الخدعة، بل كان ينتظر موعد المواجهة مع تيمورلنك، الذي سار نحو مدينة قره سي، فلما علم بقدوم القوات العثمانية نحوه اضطربت أحواله وفشلت خطته، لأن المكان لم يكن مناسب للحرب، لذلك تحدث مع أركان جيشه دون حرج لتدارس هذا الأمر وتغيير الخطط التي تضمن لهم الانتصار، فاستقر الرأي على أن يتقدم بجيوشه بسرعة فائقة، وترك العثمانيون خلفه، فسلك طريق أنقرة، وحين وصلها ضرب الحصار على قلعتها، ولكنه لقي مقاومة عنيفة من محافظها يعقوب بيك من قبل السلطان العثماني، كما توقع أيضاً في هذه المرة أن يأتي السلطان بايزيد الأول من الطريق الذي جاء منه، وكان ينوي السيطرة على أنقرة من ناحية القلعة التي أحكم الحصار عليها والواقعة في الشمال الشرقي لأنقرة، وقبل مجيء السلطان العثماني وقواته، قام تيمورلنك بقطع المياه عن القلعة، وكان الهدف من ذلك هو الإسراع في سقوطها، لأن تيمورلنك كان يتوقع وصول الجيش العثماني متأخراً، ولكن القوات العثمانية كانت تسير في عدة اتجاهات، كما أسرعت في الخروج من الطريق الذي لم يكن يتوقعه تيمورلنك على الإطلاق، لأنه كان ينتظر وصول الجيش العثماني من الشرق الجنوبي، إلا أن الجيش العثماني جاء من الشمال الشرقي، وبالتحديد من ناحية قلعجيك روال، ونزلوا بقرية ملكشاه بوادي جوبوك[١٦٩].

فاضطرب تيمورلنك لهذه المفاجأة، وانشغل بالإعداد للقتال، في تلك اللحظة الحرجة، وطوال الليل، وإزاء هذا الموقف أو الوضع الخطير واللحظة الحاسمة فإن تيمورلنك استطاع أن يحافظ على الهدوء لتمضي هذه المواجهة بسلام، وقد عمل تلك الليلة على تغيير جبهة القتال، حيث انسحب من مكانه جانب القلعة ليتجنب الاصطدام مع السلطان العثماني في هذا الوقت.

ونلاحظ فيما سبق أن تيمورلنك دائماً ما يغير خططه الحربية للمرونة التي كان يتمتع بها إذا أحس بحرج خطته، مع أخذ مشورة قادته بعكس خصمه السلطان العثماني وهذه المرونة هي إحدى عوامل النصر على خصمه السلطان بايزيد الأول كما سيأتي.

أما السلطان بايزيد الأول الذي أوقع تيمورلنك في هذا الحرج الذي كاد فيه أن يقضى عليه في أول مواجهة لو اتبع مشورة أبنائه وقادة جيشه الذين أشاروا عليه بمبادرة الهجوم السريع لمواجهة تيمورلنك في اللحظة التي كان يخشاها تيمورلنك، لكنه رفض الأخذ برأيهم، ففوت فرصة الانتصار على خصمه في تلك المواجهة، حيث رأى أنه من الصواب عدم المواجهة لقرب قاعدة الجيش المغولي، وهذا الأمر أعطى لتيمورلنك وقتاً طويلاً للتفكير للتخلص من هذا الوضع الخطير، والخطأ الذي وقع فيه حسب توقعاته الخاطئة، فقام بتغيير خطته التي تكفل له الانتصار[١٧٠].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى أية حال فقد بدأت المعركة الحاسمة بين القائدين في يوم الجمعة ١٩/ ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ الموافق ٢٠ يونية ١٤٠٢م، وقيل في يوم الجمعة ٢٧ ذو الحجة ٨٠٤هـ الموافق ٢٨ يوليو سنة ١٤٠٢م[١٧١].

قيل بأن جيش تيمورلنك حوالي سبعمائة (٧٠٠) ألف جندي، وجيش السلطان بايزيد الأول حوالي مائة وعشرين (١٢٠) ألف جندي[١٧٢].

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ العثماني إسماعيل حقي بأن جيش تيمورلنك يقدر بمائة وستين (١٦٠) ألف جندي، أما قوات السلطان بايزيد الأول فتقدر بنحو سبعين (٧٠) ألف جندي، وذلك كما ورد في كتاب (فتحنامه) التيموري.

لذلك لم يكن هناك تناسب بين قوات الفريقين، فقد جاء تيمورلنك بقوة كبيرة مجهزة بالدروع الواقية من ما (وراء النهر) أي من أواسط آسيا الوسطى، عندما علم بأن خصمه السلطان بايزيد الأول الذي يتمتع بصفة الشجاعة والإقدام، وبهذه الصورة نرى كثرة أعداد قوات تيمورلنك

(١٦٠) ألف مقاتل، وبصفة خاصة في أعداد الفرسان، إضافة إلى وجود (٣٢) فيلاً في جيشه، مقابل (٧٠) ألف عثماني مقاتل يغلب عليهم كثرة المشاة[١٧٣]، وقيل جيش السلطان العثماني مائة وعشرون (١٢٠) ألف جندي مقاتل، ولكن كان أكثرهم من المشاة[١٧٤]، والباحث يميل للأخذ بهذا القول، إذا كان جيش تيمورلنك مائة وستين (١٦٠) ألف جندي مقاتل.

وفي الحقيقة لا يهمنا أعداد جيش الفريقين كما أوردته المصادر السابقة بقدر ما يهمنا نتيجة المعركة، لتناقض المصادر التاريخية في تحديد عدد الجيشين بدقة لما فيها من مبالغات في تقدير أعداد المقاتلين في كل فريق.

خيانة تشطر الجيش العثمانى نصفين :

والجدير بالذكر أنه لما دارت المعركة أوصى السلطان بايزيد الأول قادته بالتضحية والإقدام لإحراز النصر على خصمه، فاقتتل الجيشان قتالاً شديداً أظهر السلطان العثماني خلاله من الشجاعة ما أبهر العقول من قبيل شروق الشمس حتى غروبها، ولكن فرار عساكر فرسان الأناضول من فرق (آيدين ومنتشا وصاروخان والقرمان) وسرعة انضمامهم وانحيازهم إلى صفوف خصمه تيمورلنك، حسب اتفاقهم معه السري السابق، لوجود أمرائهم وأبنائهم وكبار رجالهم في صفوف الجيش المغولي، قيل أنهم كانوا يقدرون هؤلاء المقاتلين بحوالي خمسين (٥٠) ألف مقاتل، لذلك لم يبق مع السلطان العثماني سوى عشرة آلاف جندي انكشاري[١٧٥] والقوات الصربية التي صمدت في القتال، وقد أثبتوا ولاءهم وصدقهم للدولة العثمانية حين ثبتوا في الحرب ضد تيمورلنك، وقاتلوا ببطولة وبسالة شهد لهم تيمورلنك بقدرتهم الحربية[١٧٦]، على أن ذلك النقص لم يثن السلطان العثماني فقد استمر في الحرب والقتال ضد خصمه[١٧٧].

ولكن هذه الخيانة تسببت في شطر جبهتين داخل صفوف الجيش العثماني وبالتحديد في قلب الجيش الذي كان على رأسه السلطان العثماني، وعلى أثر ذلك تشتت الجيش في الميمنة والميسرة، لفقد السيطرة على إدارة المعركة، فانهزم الجيش العثماني أمام قوات تيمورلنك، فاقترح قادة الجيش العثماني على السلطان بايزيد الأول، الانسحاب لإعادة ترتيب الأوضاع كما كان يفعل تيمورلنك، ولكن السلطان رفض الانسحاب وفضل الاستمرار في القتال دون الانسحاب[١٧٨].

ولكن الصدر الأعظم علي باشا وكذلك مراد باشا، وأغا الانكشارية حسن أغا وغيرهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من كبار قادة الجيش العثماني انسحبوا لعدم تكافؤ القوتين، ولكنهم قاموا بتخليص أولاد السلطان على الرغم من هزيمة الجيش، فأخذوا سليمان الابن الأكبر الذي شاهد الهزيمة ولاذ معهم بالفرار إلى مدينة بروسه (بورصة) ومن بورصة غادر سلميان إلى مدينة أدرنه بالقرب من مدينة القسطنطينية[١٧٩].

وانسحب محمد الأول الذي استطاع بالتدريج من السيطرة على مناطق سيواس وأماسية ومعه جيش الاحتياط، ولحق به أخيه عيسى.

أما مصطفى وموسى فقد بقي مع والدهما ولم ينسحبا كما انسحب أخويهما حتى وقعا في الأسر معه كما سيأتي[١٨٠]. ولاذ بالفرار ملك الصرب وقواته بعد أن رأى الهزيمة التي لا يقوى على مقاومتها مفضلاً مبدأ السلامة[١٨١].

ولو أخذ السلطان بمشورة أصحابه وحاول الانسحاب لتغيير خطته أو طلب الهدنة للتفاوض على الصلح حتى يستطيع أن يعيد حساباته وتنظيم جيشه من جديد لكان هناك قولاً آخر، ولكنه ثبت في مكانه، وفضل أن يموت بشرف في ميدان القتال ولا ينسحب كما أشار عليه قادته[١٨٢].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هزيمة السلطان العثمانى :

لهذا انهارت قوته لاستخدامه الشجاعة والقوة دون العمل بالسياسة والكياسة التي اتبعها خصمه تيمورلنك في عدة لقاءات مع السلطان حيث ينسحب ليتجنب القوة العثمانية ومن ثم يقوم بتعديل خطته التي تضمن له الانتصار والسلطان بايزيد يتعقبه من مكان لآخر دون تخطيط لثقته واعتزازه بقوته حتى أرهق جيشه.

وكان بإمكانه الانسحاب أو الهرب من المعركة حسب رأي مستشاريه كما أسلفنا، لكنه رجل عنيد، واصل الحرب رغم هذه الظروف[١٨٣]، لأنه لم ييأس من النصر على خصمه وظن أنه لا زال قادراً على هزيمته بما بقي معه من خواص رجاله فقد صعد بهم على ربوة، كان يقدر عددهم بحوالي ثلاثة آلاف مقاتل من المشاة والفرسان، فهاجم بهم قوات تيمورلنك الذين يقدرون بسبعين (٧٠) ألف مقاتل، وبعد قتال شديد، أحاطه المغول بقوات كبيرة، فأخذ بلطة كانت بيده وانقض بها على الجيش الذي أحاط به وبقواته حتى يتمكن من الهرب فاستطاع فك الحصار الذي ضرب عليه من

قبل تيمورلنك وجنوده بقوة قليلة، وفقت هذه القوة من فك الحصار عن سلطانها وهرب هذه المرة بصعوبة بالغة من حلقة الحصار[١٨٤].

وعندما علم تيمورلنك بخروج السلطان با يزيد الأول من الحصار المضروب عليه، أرسل إليه فرقة تتبعه للقبض عليه، ولما وصلت إليه تلك القوة انقض عليها السلطان للقضاء عليها، فاستمر القتال بين الطرفين حوالي ثلاث ساعات حتى سقط آخر النهار، حين وقع به جواده قضاءً وقدراً، وقبل أن يمتطيه مرة أخرى تم الإمساك به وأسره، حيث نقل إلى تيمورلنك، وكان ذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ الموافق ٢٥ يوليو سنة ١٤٠٢م[١٨٥]، فقابله باحترام وحاول تيمورلنك أن يروح عنه، فقال السلطان له أنت السبب في هذا الوضع ! ثم ألبسه تيمورلنك عباءة تليق به، وأمر باتخاذ التدابير والإجراءات لعدم هروبه، وقد أسر معه إبناه موسى ومصطفى، وكذلك أمير الأمراء صاري دمرداش باشا، وعلي بيك وغيرهم من خاصته وظلوا معه في الأسر[١٨٦].

يقول الشاعر في شجاعة السلطان بايزيد الأول وإقدامه والغدر به حين انسحب من جنده فرق الأناضول للانضمام إلى عدوه تيمورلنك وقد سبق أن ذكرنا اتصال تيمورلنك بهم سراً وعاهدوه على ذلك وقت الحرب بعد أن وعدهم بإعادة إماراتهم هذه الأبيات من القصيدة التالية :

ورابعهم شمس العلا «بايزيد» هم	موافقه في الحرب مرة مطعم
لئن كان مع تيمور ما انقذ القضا	فإن ارتكاب الغدر منشأ التثلم
ولا عجب للأسد أن ظفرت بها	كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربه وحشي اسقطت حمزة الردا	وحتف علي من حسام ابن ملجم[١٨٧]

وبعد انتهاء الحرب بهذه النتيجة سيطر تيمورلنك على الموقف، فأرسل حفيده محمد ميرزا إلى بروسه (بورصة) بقوة تقدر بثلاثين (٣٠) ألف جندي للقبض على الأمير العثماني سليمان بن السلطان بايزيد الأول، ثم أرسل قوة أخرى من الجيش لتعقب القوات العثمانية التي انسحبت من المعركة.

أما تيمورلنك فظل على مشارف مدينة أنقرة لمدة ثمانية (٨) أيام، ثم غادرها إلى مدينة كوتاهية، وأعجبه المكان فمكث فيها شهراً، وفك فيها أبناء علاء الدين القرماني (محمد علي) من السجن، ثم نقلهم ليكونوا تحت نظره في مدينة كوتاهية[١٨٨]، كما أعاد إلى أمراء الأناضول

مناطقهم التي سلبها منهم السلطان بايزيد الأول[١٨٩] وزاد على ذلك تيمورلنك بأن أعطى أبناء القرمان مناطق: قيسرى واشكي شهر وبنو دلقادر، وغيرها من المناطق الأخرى التي كانت في الأصل تتبع للعثمانيين.

وأرسل تيمورلنك خطاب إلى هنري الرابع ملك إنجلترا وشارل السادس ملك فرنسا، يخبرهم عن انتصاره في أنقره، وأنه هزم السلطان العثماني بايزيد الأول، وأسره، الذي لم يمكنهما القضاء عليه في حربهم معه في نيكوبولي[١٩٠]. ففرحت دول أوربا بما وقع للسلطان بايزيد، وقيل أن ملك فرنسا بعث تهنئة إلى تيمورلنك بهذه المناسبة، فأجابه تيمورلنك على التهنئة[١٩١].

والباحث يميل إلى أن أوربا هي التي أرسلت بالتهنئة بعد أن أرسل لهم تيمورلنك فرحاً بنشوة الانتصار، يخبرهم عن انتصاره على السلطان العثماني الذي لم تستطع أوربا مجتمعة الانتصار عليه.

أسباب هزيمة السلطان العثماني أمام تيمور لنك :

إن أسباب هزيمة السلطان العثماني بايزيد الأول أمام تيمورلنك – هو أنهم لم يألفوا حرب الفيلة التي كانت تجيدها قوات المغول، كما كان انسحاب جنود وفرسان إمارات الأناضول السلاجقة من جيش السلطان العثماني إلى تيمورلنك لوجود أمرائهم معه بعد أن أمطروا العثمانيين بوابل من السهام في ظهورهم، وبالتحديد على الجناح الأيسر مما أدى إلى خلخلة الجيش العثماني، إضافة إلى عدم انسحاب السلطان بايزيد من المعركة حسب رأي مستشاريه، لتغيير خطته الحربية حسب الأمر الواقع، كما فعل خصمه عدة مرات كما سبق ذكره، بل أصر على مواصلة الحرب، على الرغم من هذه الظروف القاسية، مفضلاً ذلك على الانهزام، تلك العوامل من الأسباب التي عجلت هزيمة الجيش العثماني وجعلته يطلب النجاة[١٩٢]، تاركه خلفها سلطانها لمصيره لعدم استجابته لكبار جيشه ومستشاريه.

وكان علي حسون له رأيٌ، ذكر أن جيوش النصارى التي كانت تحت قيادة السلطان بايزيد الأول لم تدخل المعركة إلا وهي مكرهة[١٩٣]، وقد خالفه المؤرخ العثماني إسماعيل حقي (Ismail Hkki) بأن هؤلاء الصرب الذين كانوا تحت قيادة السلطان قد ثبتوا في القتال ضد تيمورلنك، وقد شهد لهم المغول أنفسهم ببطولتهم وبسالتهم ضده، لكنهم هربوا بعدما انكسر الجيش العثماني وهرب العثمانيون طلباً للنجاة لعدم استجابة سلطانهم للرأي والمشورة كما سبق ذكره[١٩٤].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن لعلَّ علي حسون على حق بأن بعضهم دخل هذه الحرب وهو مكره، ولعلهم كانوا يعلمون مدى التحالف الصليبي بين أوروبا والمغول.

وعلى أية حال فقد سعى هؤلاء الصليبيون قبل تقدم المغول نحو العالم بأن يكون هجومهم معاً في آن واحد، مع العلم أن المغول في ذلك الوقت قد دخلوا الإسلام، إلا أن الصليبيين قد استغلوا الخلاف المذهبي بين العثمانيين السنة، وما كان عليه تيمورلنك من التشيع، فأقنعوه بوسائلهم التي تقدمت بغزو العثمانيين من الشرق، وهم يهجمون عليهم من الغرب للقضاء عليهم[١٩٥].

ولكننا لم نرى للصليبيين هجوم، كما اتفقوا مع المغول، لأن المصادر العثمانية والأوربية لم تذكر عن ذلك شيئًا، بل ذكرت دورهم التحريضي للمغول لغزو الدولة العثمانية بالأساليب التي سبق ذكرها، للخوف الذي أوقعه العثمانيون في قلوبهم في معركة قوصوه ونيكوبولي التي لازالوا يتذكرونها، لذلك لم يتقدموا، ولم يحركوا ساكناً، بل أنهم تحرروا من الحاكم العثماني بعد المعركة.

ومن الأسباب الأخرى والمهمة في هزيمة السلطان بايزيد الأول، هي أنه عندما دخل تيمورلنك الأناضول في سنة ١٤٠٢م من شهر يوليو، وصل أنقرة، وتجول بها مدة طويلة للتعرف على جغرافيتها لاختيار المواقع المناسبة للقتال، وأخذ السلطان بايزيد الأول يتعقبه من مكان إلى آخر، حتى أرهق جيشه التعب، بعكس تيمورلنك الذي وصل مبكراً إلى الأناضول، فاستراح ونظم جيشه وهيأهم للقتال[١٩٦].

وكان على السلطان بايزيد الأول أن يستريح بعد عناء السفر الطويل من (بروسه إلى أنقرة) إلا أنه لم يتوقف، ليستعد لقتال تيمورلنك، ويبدو أن هدف تيمورلنك فيما تقدم من التحركات هو إرهاق خصمه، لما يعرفه عنه من تعجل وخفة عن طريق عيونه في المنطقة، وأيضاً تحاشي المواجهة معه في بعض المواقع التي نرى أن تيمورلنك ينسحب منها لعدم جدوى المعركة فيها، لذلك كان المغولي يسحبه للموقع الذي يناسب جيوشه وهي المواقع المكشوفة، وكان بإمكان السلطان العثماني أن يتنبه لخداع خصمه ودهائه.

ومن الأسباب كذلك فقد كانت الغالبية في جيش السلطان بايزيد الأول من المشاة، أما تيمورلنك فكان أغلب جيشه من الخيالة، وهو أصلح للقتال في الميادين الفسيحة المكشوفة كموقع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه المعركة[١٩٧]، الذي اختاره المغولي، وقبل به السلطان العثماني دون أن يفكر في الانسحاب لموقع آخر يناسب رجاله المشاة.

وقد أخطأ كذلك خطأً كبيراً حينما قبل الحرب الميدانية، بدلاً من حرب العصابات مع خصمه تيمورلنك[١٩٨]، كما أن جهل السلطان في اختيار موقع جيشه للقتال ضد تيمورلنك وضعه في موقف حرج من الناحية التكتيكية العسكرية، فقد فيها توازنه القتالي أمام خصمه، إضافة إلى فارق العدد الكبير في الجيش المغولي، في الوقت الذي هرب فيه معظم الجيش العثماني إضافة إلى أبناء أمارات الأناضول وهو في أحلك الظروف، فتركوه لمصيره، والتحقوا بالجيش المغولي لتيمورلنك[١٩٩].

كذلك من الأسباب دخول المغول الإسلام، لذلك كان الجيش الانكشاري تنقصه الحماسة الدينية لحربه ضد إخوانه المسلمين، وقد كانت هذه من العوامل المهمة في انتصاراتهم ضد البيزنطيين، وتلك من أهم الأسباب في هزيمة السلطان العثماني بايزيد الأول أمام المغول[٢٠٠].

وقد كان العثمانيون قبل هذه الحرب ضد تيمورلنك، يتوسعون وينقلون عاصمتهم من مكان لآخر ليقتربوا بها إلى أرض العدو، أما في حربهم ضد تيمورلنك فوجدوا أنفسهم مضطرين للدفاع عن قلب دولتهم (غرب الأناضول)، لهذا أصبحت المعركة حتمية، وضعت الدولة العثمانية في موقف حرج للغاية، بسبب عداوتها مع القوى البلقانية المسيحية، والإمارات السلجوقية المسلمة في الأناضول، وهذه من العوامل التي أدت إلى خسارة العثمانيين إضافة إلى ضخامة الجيوش التي كان يقودها تيمورلنك، والذي لم يهزم من قبل[٢٠١]، فكانت معركة أنقره أكبر حرب ميدانية حدثت على وجه الأرض خلال القرون الوسطى (٧٦٤م - ١٤٥٣م)، وفي هذه الحرب التحم اثنان من أكبر الحكام العسكريين المسلمين في التاريخ، الكل منهما يريد النصر على الآخر، وكان يقتسمان الأقطار ما بين الصين وبحر الأدرياتيك، ومعهما أبناؤهما، وقيل كانت خسائر تيمورلنك حوالي أربعين ألف مقاتل وهي خسارة لم يسبق له أن تكبدها، رغم انتصاره الساحق في المعركة[٢٠٢].

فموقعة أنقرة كانت ذات أهمية بالنسبة إلى التاريخ العثماني باعتبارها الهزيمة الساحقة الوحيدة التي حلت بالعثمانيين خلال الثلاثة القرون الأولى من تاريخ الدولة، والمرة الوحيدة التي شهدت أسر عاهل من آل عثمان، ولكنها لم تكن من المعارك التي غيرت مجرى التاريخ للمنتصر والمهزوم على حد سواء[٢٠٣].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالدولة العثمانية كانت تفتقد إلى كل ما يجعل منها دولة في الوقت الذي لم يدرك فيه السلطان بايزيد الأول الاتجاه الحقيقي لإقامة الدولة، فهي دولة غزاه تحارب الكفار، لذلك اتجهت منذ نشأتها الأولى نحو الغرب للفتح ونشر الإسلام، ولكن السلطان بايزيد الأول نراه أخطأ في الاتجاه الحقيقي للدولة، عندما ترك نهج أسلافه في الخط الذي رسموه للدولة واتجه إلى الشرق الإسلامي، لضم دول إسلامية – الإمارات السلجوقية في الأناضول – وكانت هذه الدول كثيرة العدد، وعلى جانب كبير من النفوذ، وغير راضين عن سياسة السلطان العثماني، وتدخله في شؤونهم، دون مراعاة لظروف المنطقة القائمة آنذاك، مخالفاً في ذلك سياسة أسلافه في الفتح، وكان عليه أن يكسبهم في صفه ضد البيزنطيين والمغول، ولكن السبب يعود إلى أن (مارياد سبينا) والحزب المسيحي في البلاط السلطاني كان لهما الأثر الكبير في توجيه السلطان نحو الشرق الإسلامي لضم الدول الإسلامية وتوحيدها، وكان الهدف من ذلك هو صرف السلطان عن أوروبا وعن نهج أسلافه[٢٠٤]، وقد نجحوا في ذلك عندما أدى ذلك الاتجاه إلى الاصطدام بتيمورلنك وكارثة أنقرة كما سبق[٢٠٥]، وتعد هذه كذلك من العوامل المهمة فى هزيمة السلطان العثماني أمام تيمورلنك، لتركه نهج أسلافه في الغزو نحو أوروبا كما أسلفنا من قبل والاتجاه نحو إخوانه المسلمين في العالم الإسلامي، وتلك الأعمال عجلت بسقوطه للأخذ بمشورة أعدائه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الرغم من أن السلطان بايزيد الأول قد تهيأ له ما كان مطمع أنظار العثمانيين منذ زمن الغازي عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية، وهو فتح القسطنطينية[٢٠٦]، إلا أن سياسة التسرع في الفتح التي اتخذها السلطان بايزيد الأول، مخالفاً فيها أسلافه الذين كان شأنهم شأن الفاتح الحكيم الذي لا يكتفي بفتح البلاد، وضرب الذلة على سكانها، بل كانوا يستريحون بضع سنين من عناء الفتح، ليعيدوا ترتيب جيوشهم، ويوطدوا أركان بلادهم المفتوحة مع البلاد السابقة للربط فيما بينهما لنشر العلم والعدل والسلام، ثم بعد ذلك يتطلعون إلى فتح جديد نحو أوروبا[٢٠٧]، لذلك نرى هذا السلطان لم ينهج هذا النهج بل كان يتخبط في حروبه نحو الشرق والغرب[٢٠٨]، ومن أجل ذلك كسب عداوة المسلمين قبل الصليبيين وهذه من الأسباب كذلك التي عجلت بهزيمته أمام المغول.

فتيمورلنك ما كان يهدف إلى غزو المدن العثمانية، بل إن اتجاه السلطان بايزيد الأول نحو الشرق لتوحيد إمارات الأناضول، ودولة المماليك في مصر هي التي أثارت حفيظة تيمورلنك، ودفعته دفعاً للغارة على السلطان العثماني[٢٠٩].

وفي الحقيقة كانت الضربة قاسية على الدولة العثمانية، ولكن ما خفف منها هو أن تيمورلنك لم يكن يرغب في الاستيلاء على الأناضول بقدر ما أرهبه الفارين إليه من أمراء الإمارات السلجوقية التي استولى عليها السلطان بايزيد الأول، لذلك أراد وقف الزحف العثماني نحو الشرق لحماية حدوده من العثمانيين، ثم بعد ذلك عاد إلى سمرقند للاستعداد لغزو الصين[٢١٠].

وعلى الرغم من تدخل تيمورلنك في الأناضول لفترة قصيرة، فإن نتائج هذا التدخل قد حطمت قوة الدولة العثمانية، وأخر فتح القسطنطينية، وحماها من الانهيار لمدة نصف قرن[٢١١].

لذلك تعد معركة أنقرة في التاريخ العثماني إحدى الكوارث التي أصابت الدولة العثمانية في مقتل، وأطالت عمر البيزنطيين والقرون الوسطى خمسين (٥٠) سنة، بالإضافة إلى أنها أخرت وحدة الأناضول حوالي سبعين (٧٠) سنة، حتى أن السلطان سليم الأول لم يتمكن من ضم بعض الأراضي التي كانت في عهد السلطان بايزيد الأول أراضي عثمانية إلا بعد مائة وخمسة عشر (١١٥) سنة من معركة أنقرة[٢١٢].

وعلى كل حال فقد كانت نهاية السلطان بايزيد الأول نهاية حزينة وغير سعيدة في نهاية الموقعة، ولكن تيمورلنك لم يقتل أسيره، بل استقبله استقبالاً يليق بمكانته كسلطان دولة، وفي رواية أخرى قيل أهانه بعد أن شرع في الهرب ثلاث مرات[٢١٣]، بعد أن كانت هناك بعض المحاولات التي قام الأمير محمد ابن السلطان بايزيد الأول، لتخليص والده من الأسر، إلا أنها باءت بالفشل، ولكن لا يعرف مدى صحة هذه الرواية، وكيفية تنفيذها، وإن كانت المصادر التاريخية البيزنطية والعثمانية لم توضح هذه المحاولات[٢١٤].

وعلى الرغم مما قيل فقد عاش السلطان بايزيد الأول في الأسر مدة سبعة (٧) شهور واثني عشر (١٢) يوماً، وكانت هذه الهزيمة هي السبب في موته كمداً وهو في الأسر سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م، وصرح تيمورلنك لابنه موسى بأن يدفن في مقابر سلاطين آل عثمان في بروسه (بورصة)، وهذا يؤكد على حسن معاملة المغولي لأسيره[٢١٥].

وقد دامت سلطنته حوالي ثلاثة عشر (١٣) سنة، وشهر واحد وثمانية (٨) أيام، وقد توفي وعمره ثلاثة وأربعون (٤٣) سنة[٢١٦].

وبعد هذه المعركة نعمت أوربا براحة وخاصة بعد نشوب الصراع بين أبناء بايزيد الأول، فقد تحررت من دفع الجزية التي كانت تدفعها للدولة العثمانية طوال فترة هذا الصراع[٢١٧]، وهذا ما سوف تناولته في بحث مستقل باسم « فترة فاصلة في الدولة العثمانية ».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش

١- عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٣م، ص ٣٤ ـ ٣٥.

٢- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٣٧، عبد العزيز سليمان نوار: المرجع السابق، ص ٣٥.

٣- مؤلف مجهول : سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد : مخطوط، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى تحت رقم ٦٧٥ لوحة ١٦ ـ ١٧، أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٥١، محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م، ص ٣٥.

٤- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٣٧.

٥- زبيده عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى، الناشر، دار الفكر العربي، ص ١٧٢.

٦- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧.

٧- إبراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، الطبعة الأولى، مطبعة عموم الأوقاف، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م، ص ٤٧.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨- وقيل « أوليفرا » وقيل اسمها « ماريا » ـ انظر محمد فريد بك : المصدر السابق، ص١٣٧، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.

٩- محمد أديب آل تقي الدين الحصيني : منتخبات التواريخ لدمشق، تقديم كمال سليمان الصليبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج١، ص ٢١٤، علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٢٠.

١٠- يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام عبد الوهاب الحابي، الطبعة الثالثة، دمشق، دار الطباعة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج٢، ص ٤١.

١١- بيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٢.

١٢- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.

١٣- إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار، الطبعة الأولى، مصر، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق، ١٣١٢هـ، ج١، ص ١٣٧، إسماعيل ياغي : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٤٠، الحصيني : منتخبات

التواريخ لدمشق، ج١، ص ٢١٤.

١٤- إسماعيل ياغي : المرجع السابق، ص ٤٠.

١٥- الحصيني : منتخبات التواريخ لدمشق، ج١، ص ٢١٤.

١٦- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥. .

١٧- زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ٣٥. Moss Baynes : Byzantium, Ox Ford, 1962, p. 81 – 82

١٨- محمد أنيس المرجع السابق، ص ٣٥.

١٩- فيلادلفيا : تقع غرب الأناضول إلى الشرق من مدينة أزمير الحالية باسطنبول. انظر : محمد فريد بك: المصدر السابق، ص ١٣٧. حاشية رقم (١).

٢٠- إسماعيل سرهنك : المصدر السابق، ص ٤٩٥، الحصيني : منتخبات التواريخ لدمشق، ج١، ص ٢١٤.

٢١- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.

٢٢- محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى، الناشر دار القلم، دمشق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٣- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥.

٢٤- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٥ ـ ٣٧.

٢٥- تقع في جنوب غرب تركيا جنوب فيلادلفيا. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧، حاشية رقم (٢).

٢٦- جنوب آيدين على بحر إيجه. انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٨، حاشية رقم (١).

٢٧- شمال أزمير على بحر إيجه. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٣٨، حاشية رقم (٣).

٢٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.

٢٩- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٧.

٣٠- تقع في شمال الأناضول، على بعد نحو (١٠٠) كيلو متراً عن البحر الأسود. انظر محمد فريد بك: المصدر السابق، ص ١٣٨، حاشية رقم (٣).

٣١- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٧ ـ ١٣٨، الحصيني : المصدر السابق، ج١، ص ٢١٤.

٣٢- يلمار أوز تونا : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة : عدنان محمود سليمان، تركيا، استانبول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، ١٩٨٨م، ج١، ص ١٠٣.

٣٣- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٧.

٣٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١.

٣٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.

٣٦- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص٥١، الحصيني : المصدر السابق، ج١، ص ٢١٥.

٣٧- يوسف آصاف : تاريخ سلاطين آل عثمان، ج٢، ص ٤١ ـ ٤٢، الحصيني : المصدر السابق، ج١، ص ٢١٥.

٣٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥١ ـ ٥٢.

٣٩- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٨.

٤٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩، محمد أنيس : المرجع السابق، ص ١٣٨.

٤١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.

٤٢- يلماز أوزتونا : المرجع السابق، ج١، ص ١٠٤.

٤٣- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٢، محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٨

٤٤- أحمد تشلبي القرماني : تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسّام عبد الوهاب الحابي، الطبعة الأولى، دمشق، دار البصائر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ص ١٨ ـ ١٩.

٤٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٣.

٤٦- سيواس وتوقات : مدينتان تقعان في شمال شرق تركيا حالياً. انظر : محمد فريد بك: المصدر السابق، ص ١٣٩، حاشية رقم (٤).

٤٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.

٤٨- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة : إشراف وتقديم إكمال الدين إحسان أوغلي، ترجمة، صالح سعداوي، الناشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩٩٩م، ج١، ص ١٨.

٤٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥٠- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة : المصدر السابق، ج١ ، ص ١٨ ، محمد فريد بك : المرجع السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.

٥١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢ ـ ٥٣.

٥٢- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.

53- Solomn, Modell, Ahistory of the Weaskern world, vol, 1 Newjersex, prentice hall, 1974, p. 497 - 498

أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص٥٣ ـ ٥٥.

٥٤- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.

٥٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٥.

٥٦- علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٠.

٥٧- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٩، محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩.

٥٨- أحمد تشلبي القرماني : المصدر السابق، ج١، ص ١٨ ـ ١٩.

٥٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.

٦٠- مدينة صغيرة شمال تركيا على ساحل البحر الأسود. انظر : علي حسون، المرجع السابق، ص٢٠، حاشية رقم (٥).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦١- مدينة تقع في الأناضول وهي تعد عقدة مواصلات برية مهمة. انظر : علي حسون، المرجع السابق، ص ٢٠، حاشية رقم (٦).

٦٢- تقع إلى الجنوب الغربي من سامسون. انظر : محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ١٢٠، حاشية رقم(١).

٦٣- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

٦٤- محمد أنيس : المرجع السابق، ص ٣٩.

٦٥- سالونيك : عاصمة مقدونية اليونانية وثاني كبرى مدن اليونان على خليج يعرف باسمها. انظر : يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣، حاشية رقم (١).

٦٦- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص١٨.

٦٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠.

٦٨- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣.

٦٩- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس منير البعلبكي، الطبعة السادسة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٤م، ص ٤١٩.

٧٠- أحمد شلبي : التاريخ والحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م، ج٥، ص ٤٨٦.

71- Nor man, I. Ottoman Empire and Islamic Tradition, New York, Alrted, A. Knop, 1972, p. 14 – 15.

٧٢- Norman, Ibid, p. 15 محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٠، يلماز اوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٧، أورخان محمد علي : السلطان عبد الحميد الثاني، حياته وأحداث عهده، الطبعة الأولى، الكويت، دار الوثائق، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٨ .

٧٣- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.

٧٤- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١٠٦ ـ ١٠٧، عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٥.

٧٥- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٤١٩، Nor man, I pid, p. 15.

٧٦- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص١٩.

٧٧- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٤.

٧٨- هذا القائد كونت نيفر، هو ابن ملك يورغانيا والتي تقع حالياً في وسط فرنسا من الشرق. انظر : يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٤، حاشية رقم (١).

٧٩- يورغونيا : كانت ولاية عظيمة في شرق فرنسا، مستقلة لم يكن لملوك فرنسا عليها سوى السيادة، وحق طلب الجنود عند الضرورة منها. انظر : محمد فريد بك: المصدر السابق، ص ١٤١، حاشية رقم (١).

٨٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٣ ـ ١٤٤، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤.

٨١- بسام العسلي : الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، الطبعة الأولى، بيروت، دار النفائس، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

٨٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤، Rosetli, The Battle, Ofnicoplis, p, 619.

83- Recueil des, Historiensdes Groisades publ, Academicdes, Iuscriptions etbellsletters, paris, 1841 – 1905, p. 609. زبيدة عطا: المرجع السابق، ص ١٧٥.

٨٤- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١٠٧.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨٥- يوسف آصاف : المصدر السابق، ص ٤٤، علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٠.

٨٦- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٧.

٨٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٤.

٨٨- نيكوبلي : نيكوبول : [Nikopol] مدينة تقع في شمال بلغاريا على الحدود الرومانية. انظر : يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٥، حاشية رقم (١).

٨٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.

٩٠- بسام العسيلي : المصدر السابق، ص ٥٠.

٩١- هذه الحركة : اشتهر بها الجيش العثماني منذ تأسيسه.

٩٢- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١٠٧، بسام العسيلي : المصدر السابق، ص٥١ - ٥٢.

93- George Ostrogorsky ; History of The Byzantine state Translated to English by joan Hussey, Oxford, Basil, Black Well, 1968, p. 546،٤١٩ . كارل بركلمان : المرجع السابق، ص
محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤، يوسف آصاف : المصدر السابق، ص ٤٥.

94- George : Ibid.،يوسف آصاف : المصدر السابق، ج١، ص ٤٥.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩٥- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١٠٧ - ١٠٨.

96- The Cambridge, History, of Islam, vol, 1, Cambridge, 1970, p. 285
إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٨، زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٥.

٩٧- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج١، ص ١٩.

٩٨- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١٠٨.

٩٩- قيل إن السلطان با يزيد الأول لما أطلق سراح الكونت دي نفر، كان قد ألزمه بالقسم أن لا يعود لمحاربته مرة أخرى، ولكن السلطان قال له : « إني أجيز لك أن لا تحتفظ هذا اليمين، فأنت في حل من الرجوع لمحاربتي، إذ لا شيء أحب إليّ من محاربة جميع مسيحي أوربا والانتصار عليهم»، انظر : محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.

١٠٠- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٥، محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٤.

١٠١- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١٠٨.

١٠٢- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٥. George Ostogorsky : op, cit, p 493

١٠٣- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج١، ص ١٩.

١٠٤- سالم الرشيدي : محمد الفاتح، الطبعة الثالثة، الناشر دار الإرشاد، جدة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٣.

١٠٥- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٦. George Ostrogorsky : Ibid, p. 493

106- Hussey, J : The Byzntine World, Now, York 1957, p. 282 - 283
زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٦ ـ ١٧٩.

١٠٧- سالم الرشيدي : محمد الفاتح، المرجع السابق، ص ٣٣.

١٠٨- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٢.

١٠٩- إسماعيل ياغي : المرجع السابق، ص ٤٢ ـ ٤٣.

١١٠- ستانلي بول : الدولة الإسلامية، القسم الثاني، ترجمة محمد صبحي فرزات، مطبعة الملاح، دمشق، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٦.

١١١- أحمد فؤاد متولي : الفتح العثماني للشام ومقدماته، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م، ص ٤.

١١٢- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٤٢.

١١٣- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٩.

١١٤- أحمد فؤاد متولي : المرجع السابق، ص ٤.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١١٥- محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢١.

١١٦- أحمد مصطفى عبد الرحيم : المرجع السابق، ص ٥٥.

١١٧- محمد بن أحمد بن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، الطبعة الثالثة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج١، ص ٥٥٢ - ٥٥٣، Ismail Hkki Uzunc Osmanli Arsili; Tarihi, 5 Baski, I Gilt, Istanbul, 1988, s, 300.

١١٨- يلماز أوزتونا : المصادر السابق، ج١، ص ١٠٦، ابن إياس : المصدر السابق، ج١، ص ٥٥٢.

119- Ismail Hakki : a. g. e, s. 300.

120- Ismail Hakki, a. g. e, s, 300 .

١٢١- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١٠٦.

١٢٢- ابن إياس : المصدر السابق، ج١، ص ٥٥٢.

١٢٣- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص ١٨.

124- Ismail Hakki, a. g. e, s, 304 - 305.

125- Mehemet Zeki Pakalin : Osmanli Tarih Deyimleri, s, 443 – 444.

١٢٦- أحمد فؤاد متولي : المرجع السابق، ص ٤، ٩، ١٠، عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص٣٦، aynieser, s, 444.

١٢٧- محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢١.

128- Ismail Hakki : a. g. e, s, 304, 305.، عبد العزيز نوار : المرجع السابق، ص ٣٦

١٢٩- إن الإشاعات التي تقول بأن السلطان بايزيد الأول كان يشرب الخمر والعربدة غير صحيحة، بل كلها لا ترقى إلى الصحة، ولا تروق لأذهان الشعب على أية حال، وقد نعت بذلك من قبل أعدائه، بل الرجل كان لديه خفة وشجاعة – انظر : Mufassal Osmanli Tarihi, s, 214.

١٣٠- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٥.

131- Ismail Hakki, a. g. e, s, 305.

١٣٢- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٤٩.

133- John Hearssy : City of Constantine, Britan, 1880, p, 283

محمد فريديك : المصدر السابق، ص ١٤٤، يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٦.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٣٤- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨.

١٣٥- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج١، ص ١٩.

١٣٦- المرجع السابق، ج١، ص ١٩.

١٣٧- الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، محمد حرب : المرجع السابق، ص ٢٢.

١٣٨- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٦. Solomon Modell, A History of The Weastern World, 2 vollumes, Newjersey, Prentice hall, 1974, p, 497.

١٣٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٥.

١٤٠- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٦، زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٧.

١٤١- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٦ – ٥٧.

١٤٢- أحمد الجلائري : هو آخر الجلائريين في بغداد، وهو الذي استعاد مدينة بغداد من تيمورلنك عام ٧٩٧هـ، وولي عليها الوالي فرج، ثم عاد تيمورلنك واستعاد بغداد في شهر ذي الحجة سنة ٨٠٣هـ، بعد مذبحة عامة، مما جعل أحمد جلائري يلجأ إلى السلطان بايزيد الأول كما أسلفنا. انظر : يوسف آصاف: المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧.

١٤٣- القرماني : المصدر السابق، ج١، ص ١٩.

144- Ismail Hakki, a. g. e, s, 306.

١٤٥- القرماني : المصدر السابق، ج١، ص ١٩.

146- Ismail Hakki, aynieser, s, 306.

١٤٧- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧، علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٣.

١٤٨- علي حسون : المرجع السابق، ص ٢١.

١٤٩- عبد العزيز سليمان نوار : الشعوب الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٣م، ص ٢٦ - ٢٧.

١٥٠- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٥١- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٥٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٧ - ٥٨.

١٥٣- كارل بروكلمان : المرجع السابق، ص ٤٢٠.

١٥٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥٥- أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ٥٨.

١٥٦- يلماز تونا : المصدر السابق، ج١، ص ١٠٩.

١٥٧- يلماز اوزتونا : المصدر السابق، ص ١٠٩.

١٥٨- القرماني : المصدر السابق، ج١، ص ١٩.

١٥٩- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

160- Runicman. S:History of the Crusades, 3 vols, Cambride,1954, p, 55 - 56.، يلماز اوزتونا : المرجع السابق، ج١، ص ١٠٩ - ١١٠.

161- Ismail Hkki : a. g. e. s, 306. يلماز اوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١١٠

١٦٢- يلماز اوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١١٠، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص٥٧.

163- Ismail Hkki : a. g. e. s, 306 - 308.

164- J. A. Rmarriott : Dictatorship, and Democrcy, p. 68 - 89، يوسف آصاف :

المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧، علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٢، Ismail Hkki : aynieser, p, 306.

١٦٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٦.

١٦٦- فمن معاملته السيئة لأسراه أنه عندما فتح (سيزاوار) بنى فيها برجاً من أجساد محاربيه وأنه أخذ ألفين من الرجال الأحياء ثم وضع بعضهم فوق بعض نظير الحجارة، وبناهم بالطين واحداً فوق الآخر، وفي واقعة سيواس أخذ فرسان الأرمن وأحنى رؤوسهم بين أرجلهم وألقاهم في خنادق واسعة وردمهم بالتراب. انظر : يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٦، وإذا كان لي تعليق على هذه المعلومات فأعتقد أن هذا الكلام مبالغ فيه لا يصدقه العقل.

١٦٧- يوسف آصاف : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٦، Ismail Hkki, a. g. e, s, 309.

168- Ismail Hkki, op, cit, s, 309. aynieser, s, 309 .

169- Ismail Hkki, aynieser, s, 309 – 310 .

170- Ismail Hkki, Ibid, s, 310. aynieser,s, 310 .

١٧١- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٥٠، Ismail Hkki, aynieser, s, 311.

١٧٢- إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص ٥٠.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

173- Ismail Hkki, a. g. e, s, 311 .

١٧٤- يلماز اوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١١٠.

175- Modell solomon : Ahistory of the Western Warld, vol, 1, p, 497.
إسماعيل سرهنك : المصدر السابق، ج١، ص ٤٩٦.

176- Modell Solomon : I, p, 497, Ismail Hkki, a. g. e, s, 313 : إبراهيم بك حليم
المصدر السابق، ص ٥٠، إسماعيل سرهنك : المصدر السابق، ج١، ص ٤٩٦.

١٧٧- محمد حرب : المرجع السابق، ص ١٣١.

178- Modll Solomon, Ibid, 494 – 497. ٥٠ ، إبراهيم بك حليم : المصدر السابق، ص

179- Osmanlia Nsikloped Disi, Tarih, Medeniyet, Kultur, p, 174, Turkiye Diyanet Vakfi Islm, Ansiklope Dedisi, Cilt, Istanbui, 1995, p, 480.

180- Osmanlia Nsik lopedisi, Tarih, Medeniyet, Kultur, p, 174.

181- Ismail Haki, a. g. e, s, 314.

182- Ismail Hkki, aynieser,s, 314. ١٣١ ، محمد حرب المرجع السابق، ص

١٨٣- محمد حرب : المرجع السابق، ص ١٣١.

184- Ismail Hkki, aynieser,s,314, Modell Solomon, op, cit, p, 497 إبراهيم بك حليم .
: المصدر السابق، ص ٥٠.

185- Osmanlia Nsiklopedisis, Tarih, Medeniyet, Kultyr, p, 174، إبراهيم حليم بك : المصدر السابق، ص ٥٠، Modell Solomon,op,cit,p,497-498 ، Ismail Hakki, a. g. e,s, 315.

186- Osmanlin Nsiklopedisis, Ibid, p, 174, Turkiye Diyanet Vakfi Islm, op, cit, 480.

١٨٧- محمد بيرم الخامس التونسي : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، الطبعة الأولى، الناشر مطبعة المقتطف، مصر، ١٣١١هـ، ج٥، ص ٤٧.

188- Ismail Hakki, a. g. e, s, 315.

189- Osmanlia Nsiklopedisi, Medeniyet, Kultur, p, 174.

190- Ismail Hakki, aynieser, s, 315.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٩١- أحمد جودت : المصدر السابق، ج١، ص ٤٠، Normn. I. Ottoman Empire and Islamic tRadition, Newyork, 1972, p, 25 - 26.

١٩٢- محمد حرب : المصدر السابق.

١٩٣- تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٣.

194- Osmanli Taihi, op, cit, p, 313.

١٩٥- علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٣.

١٩٦- يلماز اوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١١٠.

١٩٧- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨، Runicman. S., op, cit, p, 56.

١٩٨- يلماز أوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١١٠.

١٩٩- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ١٧٨.

٢٠٠- أحمد شلبي : المرجع السابق، ج٥، ص ٤٨٧.

٢٠١- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٧.

٢٠٢- يلماز اوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١١٠.

٢٠٣- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.

٢٠٤- أحمد عبذ الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.

٢٠٥- أحمد جودت : المصدر السابق، ج١، ص ٤٠، أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص٥٨-٥٩.

٢٠٦- أحمد جودت : المصدر السابق، ج١، ص ٤٠.

٢٠٧- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٣١.

٢٠٨- علي حسون : المرجع السابق، ص ٢٤، Norman, I, op, cit, p, 25.

٢٠٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق، ص ٥٨.

٢١٠- عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق، ص ٣٨.

٢١١- زبيدة عطا : المرجع السابق، ص ٧٩، يلماز اوزتونا : المرجع السابق، ج١، ص ١١١، The Cambridge, History, of Isiam, voi, I, p, 279.

٢١٢- يلماز اوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ١١١.

٢١٣- سبيل الرشاد لمولانا السلطان مراد : المصدر السابق، ورقة ١٧، إسماعيل سرهنك : المصدر السابق، ج١، ص ١٩٦، أورخان محمد علي : المرجع السابق، ص ١٨.

214- Ismail Hakki, a. g. s, 315.

٢١٥- محمد فريد بك : المصدر السابق، ص ١٤٧.

٢١٦- يلماز اوزتونا : المصدر السابق، ج١، ص ٥٨.

217- George Ostrogor Sky, op, cit, 496.

ARCHIVE